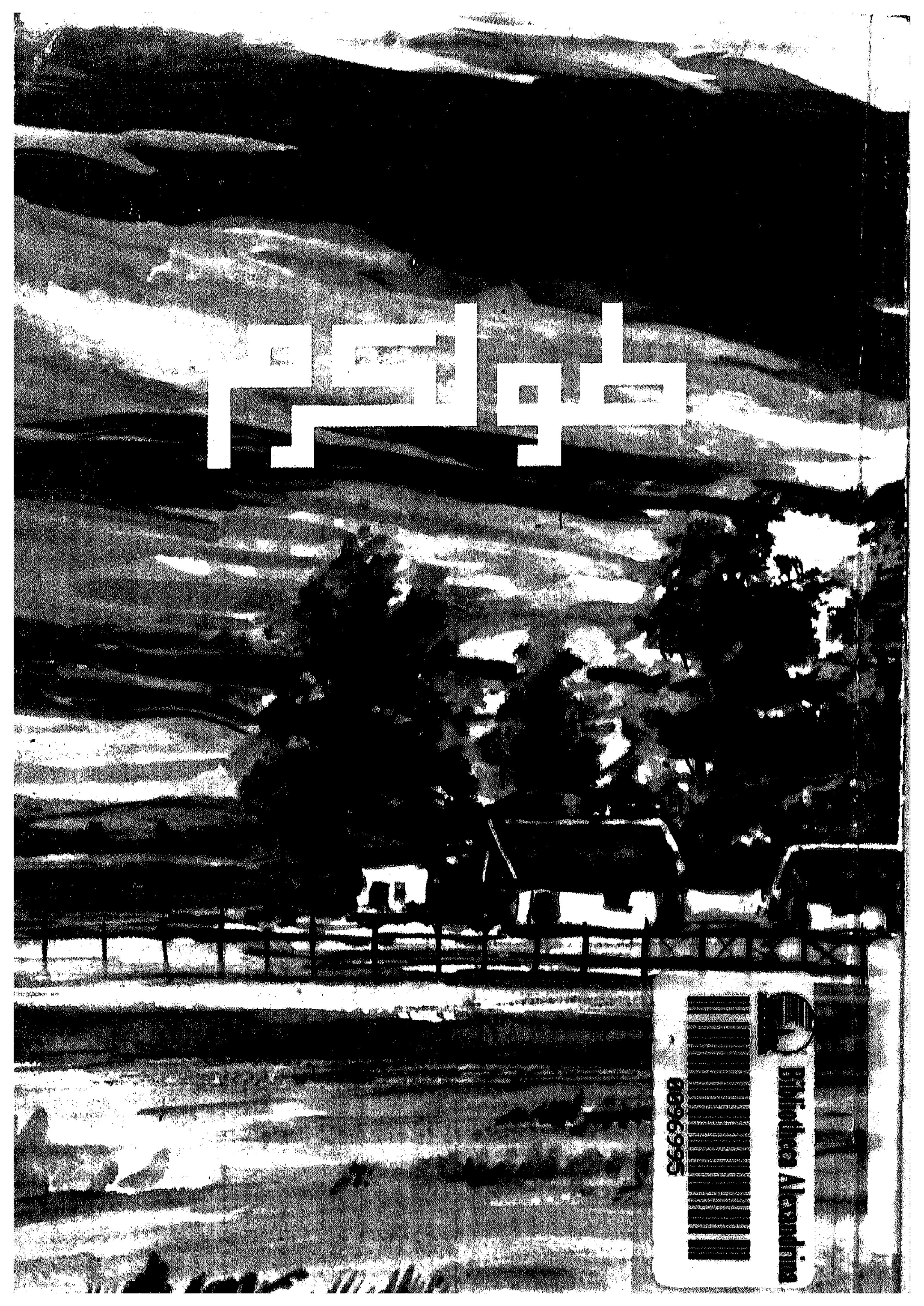

طولكرم
Bibliotheca Alexandrina

قصة مدينة

طولكرم

تأليف
علي حسين

سلسلة المدن الفلسطينية (١٤)

تصدر عن: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية



طولكرم
للفنان وليد علي

سكرتير التحرير ومنسق المشروع
حسين العودات

المحتويات



فتاة من طولكرم ترتدي الصرطلية

تصديـــر

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتجديدهما وتعريف الأجيال الناشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططاً متعدد الجوانب، متنوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل اصدار دراسات علمية في اطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف اعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضمن واقعها الجغرافي، وتطورها العمراني عبر العصور، وتاريخها، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ النضالي لسكانها، ليستفيد منها الطالب والعامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الامة العربية.

وإن هذا المشروع، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم. وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محي الدين صابر

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



خارطة فلسطين

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

الموقع والموضع :

تقـع مدينـة طولكـرم في منتصف الجـزء الشـرقي من السهـل السـاحـلي الفلسطيني، على دائرة عرض ٩ـ ٣٢" شمالاً ، وخط طول ١ـ ٣٥" شرقاً[١]. وتبعد نحـو ١٥ كم عن ساحـل البحـر الأبيض المتـوسـط . وهي تمثل احدى مدن المثلث (طولكرم ـ نابلس ـ جنين) الذي يعرف بمثلث الرعب وذلك لبلاء اهله في الجهاد ضد المستعمرين الصهاينة[٢].

وقـد أضفى موقـع المـدينة المتوسط بين جبال نابلس شرقاً والسهل الساحلي غربـاً أهميـة مميـزة للمـدينـة من الناحيتين التجارية والعسكرية قديماً وحديثاً . فقد كانت مركـزاً لمرور القـوافل التجارية قديماً وهي اليوم مركز للمواصلات البر ية بين السـاحـل والـداخـل علاوة على انهـا سوق لمنتجـات اقليمي السهـل السـاحـلي والمرتفعات الغربية[٣].

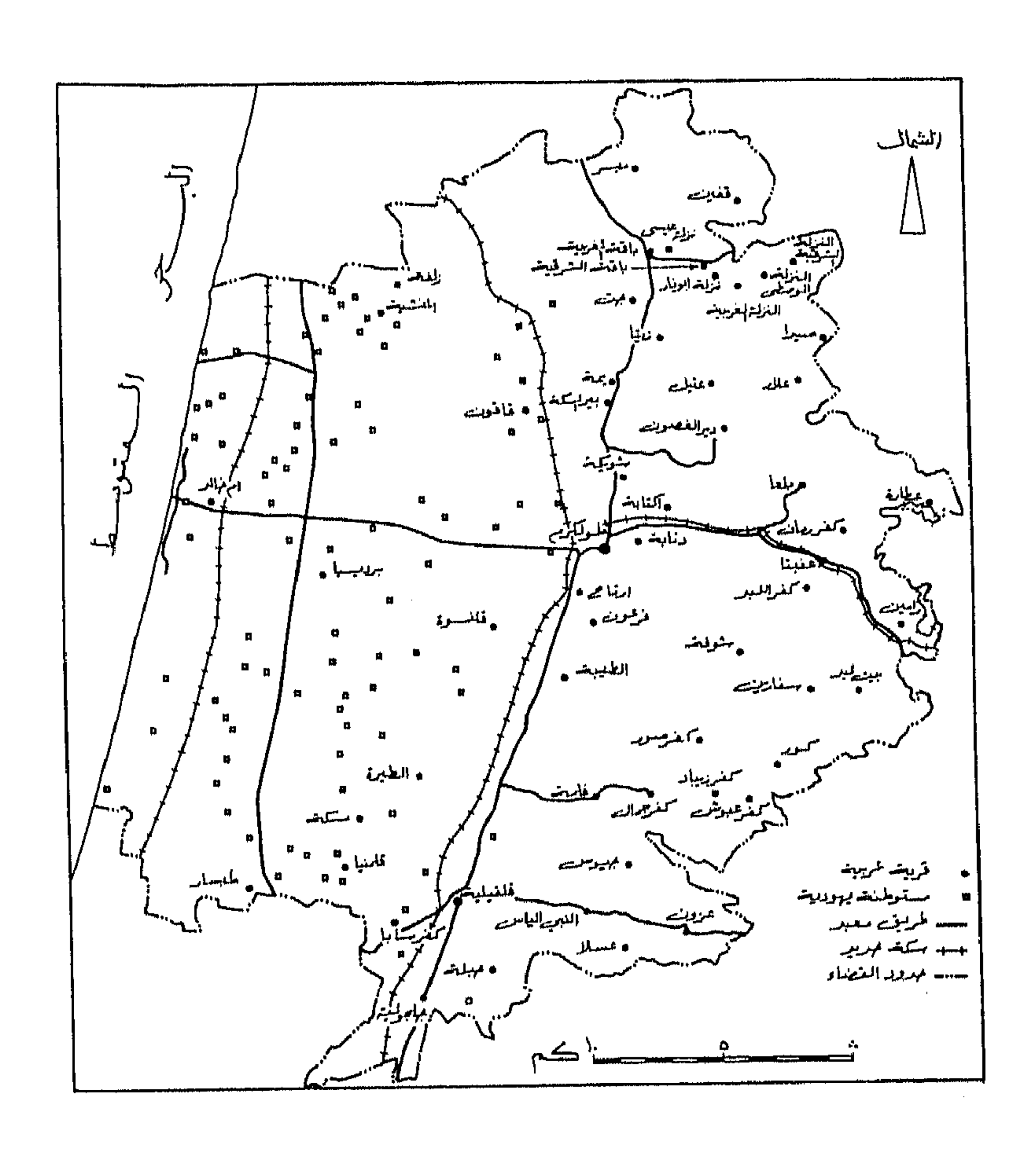
وبـالـرغم من عدم حصـانة موقع المدينة من الناحية العسكرية ، فإن سهولة

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثالث ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ .

٢ ـ قسطنطين خمار ، جغرافية فلسطين المصوّرة ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

٣ ـ Orni and Efrate, Geography of Israel, 1971, PP. 415-416 .



شكل (١) حدود قضاء طولكرم اثناء الانتداب البريطاني

الوصول اليها بواسطة شبكة الطرق المعبدة والحديدية المارة منها، وحماية جبال نابلس لها من الشرق، وقربها من البحر غرباً قد اضفى عليها خصائص دفاعية مميزة. كما حبتها خصائص الموقع أهمية في المجالات الأخرى الاقتصادية والحضارية. كما يتضح من (شكل ١) فالمدينة تتصل بكل قرى ومدن الشمال الفلسطيني بيسر. كما كان لمرور خطان لسكة الحديد قديماً منها (حتى عام ١٩٤٨) سبباً في أهميتها كعقدة للمواصلات، إذ كانت مركزاً لخطين أحدهما يتجه غرباً ليتصل بسكة الحديد المارة على طول الساحل الفلسطيني حتى القاهرة، والثاني يتجه شرقاً مروراً بجنين فسهول بيسان إلى درعا ودمشق شرقاً[٤].

ولقد حبت ظروف الموقع المتوسط، وخصوبة التربة، ووفرة المياه سواء ما كان منها مطرياً أم جوفياً، المدينة وإقليمها، ظروفاً متميزة ساعدت على سرعة نمو المدينة وتطورها خلال فترة وجيزة من القرن الحالي بعد أن ظلت قرية خلال تاريخها الطويل الذي ترجع الأدلة التاريخية بدايته إلى زمن الرومان[٥].

أما من حيث الموضع فتقوم مدينة طولكرم على هضبة تمزقها مجموعة من الأودية القادمة من المرتفعات شرقاً باتجاه السهل الساحلي غرباً. ويتراوح منسوب أراضي المدينة بين ٥٥ ـ ١٢٠ متراً فوق سطح البحر. والشكل (٢) يوضح موضع المدينة وخصائصها الطبوغرافية. لذا كان اتصال المنطقة بالسهل الساحلي تدريجي ومباشر.

يزداد ارتفاع المنطقة بالاتجاه شرقاً، حيث توجد أودية صدعية تمر بالقرب بالمدينة كوادي الزيمار من الشمال ووادي أرتاح من الجنوب. وتتميز هذه الأودية بشدة انحدار سفوحها وقلة اتساعها، مما يساعد على قيامها بدور حتي كبير. إلا أن طبيعة ومكونات الطبقات والتكوينات الصخرية من حيث انحدار الطبقات

---

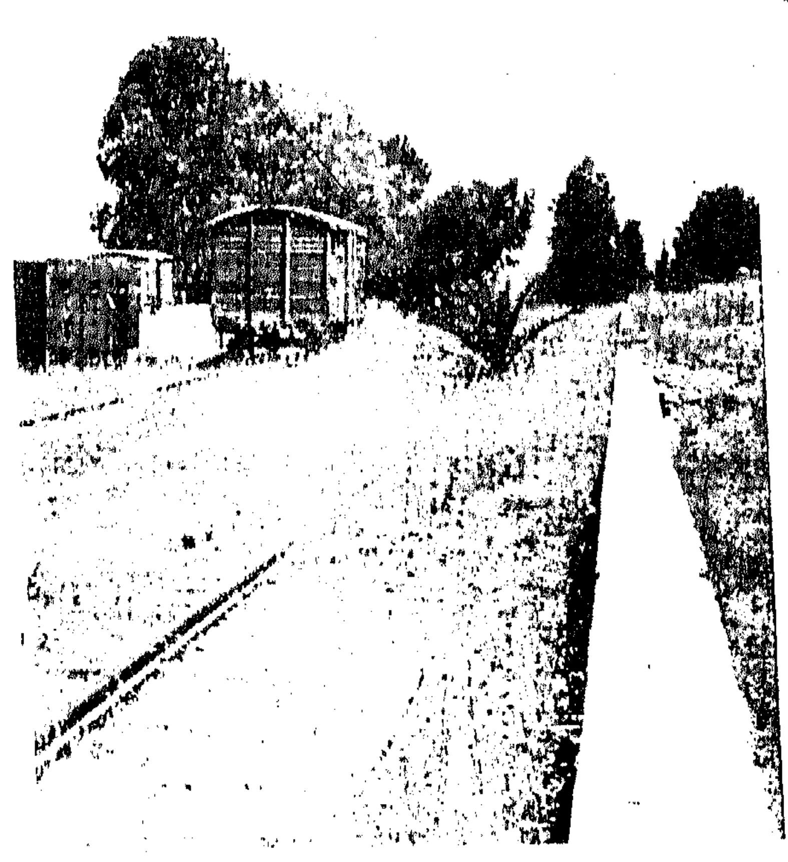
٤ ـ الموسوعة الفلسطينية، مصدر سابق، ص ١٢٥.

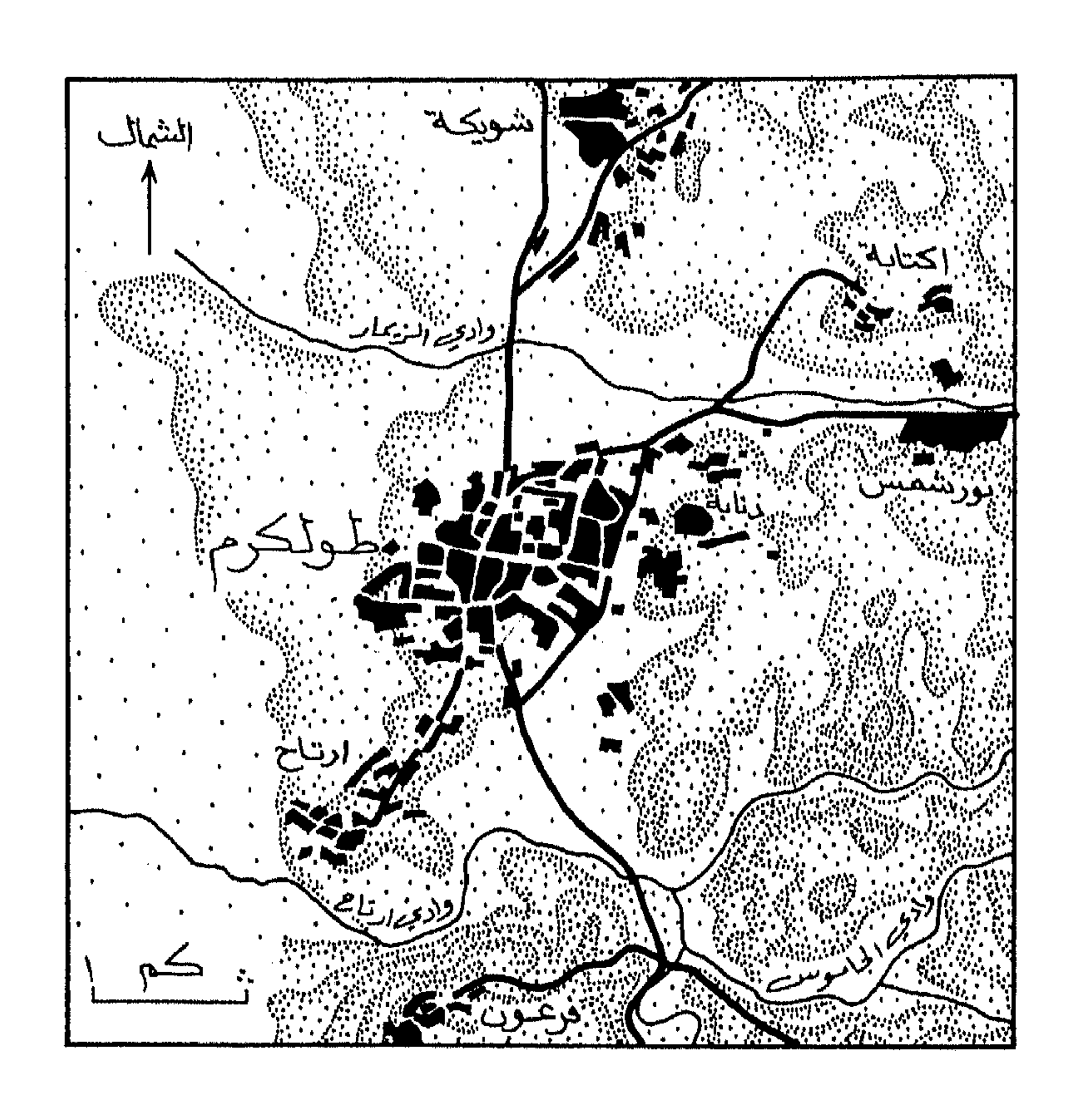
٥ ـ مصدر سابق، Orni and Efrat,

مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٣، ق ٢، ص ٢٥١.

الصخرية نحو الغرب وقابليتها للتسريب بدرجة عالية قد عملا على الحد من عمليات الحت المائي وانجراف التربة. كما أن ممارسة الزراعة المروية طوال العام وإقامة الجدران الاستنادية في المناطق المنحدرة قد عملا أيضاً على حماية التربة من الانجراف.

وبفضل موقع وموضع مدينة طولكرم هذا فقد اصبحت تمثل نقطة الاتصال بين جبال نابلس شرقاً والسهل الساحلي الفلسطيني غرباً، حيث تسلك أوديتها خطوط المواصلات الرئيسة. وتقع على جانبي هذا الوادي القرى التابعة إدارياً للمدينة، والتي تتصل معها بشبكة جيدة من الطرق. ولقد أثرت أحداث عام ١٩٤٨ سلبياً على امتداد المدينة ونموها، إذ لا يبعد خط الهدنة المرسوم مع «اسرائيل» سوى بضعة كيلومترات عن مركز المدينة مما أوقف نموها نحو الغرب.





شكل (٢) موقع مدينة طولكرم

البنية الجيولوجية :

تغطي رسوبات الدورين الثاني والثالث الجيولوجيين القاعدة الغرانيتية في منطقة طولكرم. أما مدينة طولكرم فتتوضع على تكوينات من الهضاب الكلسية التي تجزأت بفعل حركات التصدع التي تعرضت لها المنطقة في الدور الثالث ـ الانهدام ـ وتميل هذه التكوينات باتجاه الغرب.

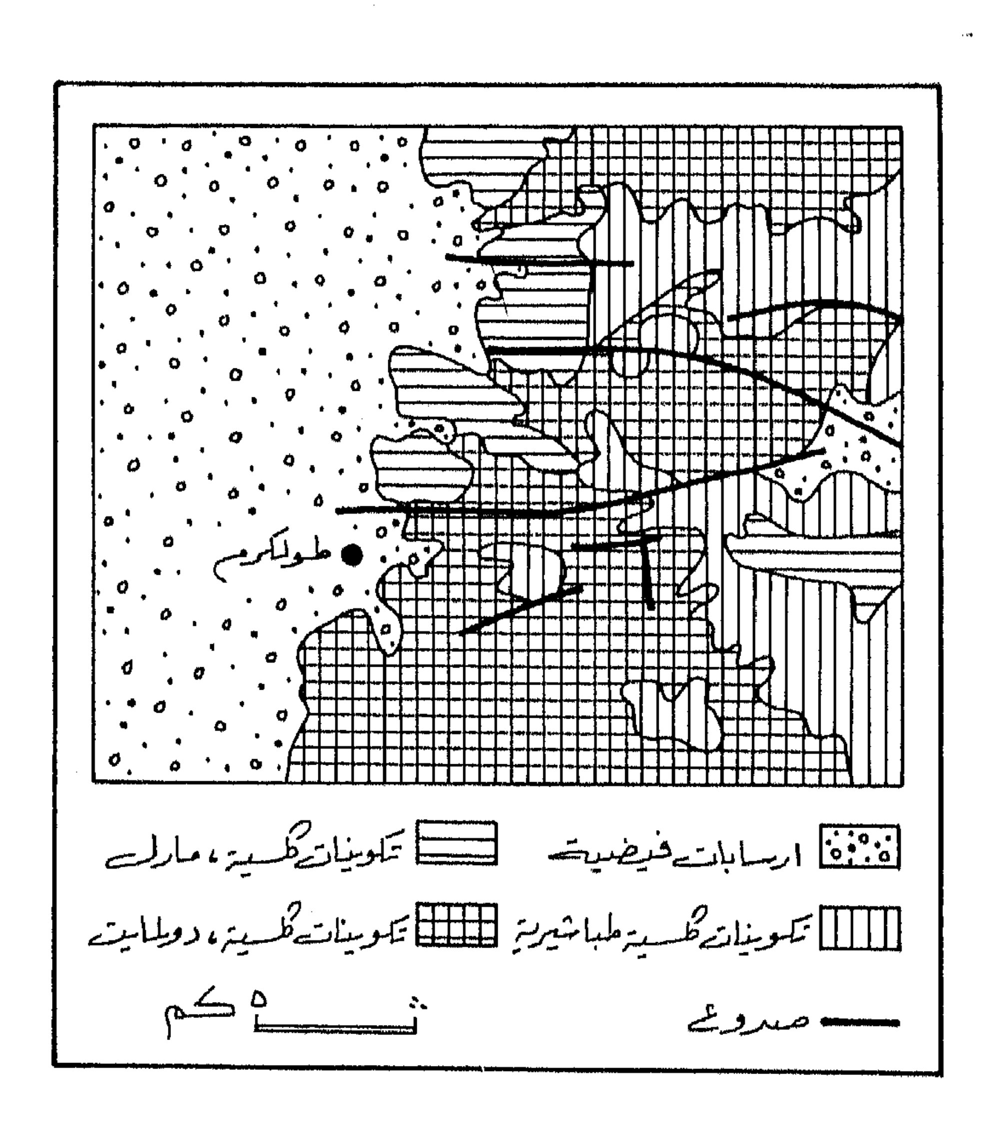
لقد أدت عمليات التعرية الى ازالة مكونات الايوسين، مخلفة وراءها مكونات السينوري التي تبدو واضحة في المناطق المنخفضة. وتشكل مكونات الكريتاسي الأوسط (تشكيلات القدس) تشكيلات المرتفعات الشرقية لطولكرم. وعند أقدام الجبال تتوضع المكونات اللحقية التي ترسبت بفعل الجريان المائي السيلي الذي قام بحملها وأرسابها عندما تضعف طاقته وذلك في الأراضي السهلية، وتعتبر المواد الكلسية ذات اللون الأحمر من أكثر هذه الترب انتشاراً.

ويتضح من الخارطة الجيولوجية (شكل ٣) أن وادي الزيمار الذي يمر بالقرب من مدينة طولكرم واد صدعي في الأصل، عملت المياه فيما بعد على تعميق مجراه ولا يتجاوز عرضه ٢٠٠ متراً. ويعتبر هذا الوادي بمثابة خط اتصال يربط السهل الساحلي بالمناطق الشرقية حيث تمتد فيه السكك الحديدية والطرق المعبدة.

التربة :

تغطي منطقة طولكرم عامة تربة خصبة تغلب على مكوناتها مواد الكلس واللحقيات. ويزداد سمكها في المناطق السهلية ويقل عند سفوح الجبال ويتناقص في أعلاها. وتعد تربة المنطقة من أخصب ترب فلسطين عامة، فالقسم الأعظم منها منقولاً، لذا ترتفع فيه نسبة المواد العضوية، وهي صالحة للزراعة بوجه عام

أمـا مدينـة طولكرم وضمن حدودها الإدارية فتعد تربتها من الترب الخصبة إلا أنهـا تعـاني من الانتشـار العمـراني غير المنظم الـذي بدا واضحـاً وخـاصة بعد الاحتـلال الاسـرائيـلي للضفـة الغـربية عام ١٩٦٧ حيث قام العديد من السكان بتفضيـل البنـاء في المنـاطق الزراعية بشكل متناثر بغية ضمانهم حفظ الأراضي من السيطرة الاسرائيلية .



شكل (٣) التركيب الجيولوجي لمنطقة طولكرم

المناخ :

يندرج مناخ مدينة طولكرم ضمن مناخ إقليم البحر المتوسط، وتبدو عليه تأثيرات محلية تعود إلى تباين ظروف السطح والموقع على المستوى المحلي. ولا تؤدي في مجموعها إلى اختلافات جوهرية ملموسة. ويعد مناخ المدينة مناخاً وسيطاً في خصائصه، ضمن مناخ البحر المتوسط، الذي يمكن تمييز مناخ المناطق الساحلية فيه عن مناخ المناطق الجبلية بوضوح. إلا أن مناخ المدينة أقرب إلى مناخ المناطق الساحلية منه إلى المناطق الجبلية، نظراً لقربها من الساحل وانفتاحها على البحر من جهة الغرب. مما ساعد على وصول المؤثرات البحرية التي تعمل على الحد من الفروق الحرارية من جهة وزيادة كميات الأمطار السنوية من جهة أخرى.

يتميز صيف المدينة بجفافه واعتدال حرارته. أما الشتاء فطويل معتدل الحرارة وفير الأمطار (٥٠٠ - ٦٠٠ ملم سنوياً). والفصلية واضحة المعالم بين الفصلين الصيف والشتاء، أما فصلي الخريف والربيع فانهما ليسا بالوضوح المتمثل في فصلي الصيف والشتاء لقصرهما وللانتقال التدريجي فيهما إذ يمثلا مرحلة انتقال بين الفصلين.

ويمكن تحديد خصائص مناخ المدينة وإقليمها من خلال دراسة عناصر مناخها والتي تشمل :

الحرارة :

تختلف درجات حرارة الليل عن النهار، والصيف عن الشتاء، ويستدل من الفروق بين النهايتين لكل منهما عن مدى وجود وأثر الفروق الحرارية على السمات المناخية العامة. من جدول رقم (١) وشكل رقم (٤) يمكن ملاحظة ان الفروق الحرارية اليومية ليست كبيرة سواء في أبرد الأشهر (كانون الثاني) حيث تتراوح بين ٩ر٣° - ٥ر٣° مئوية، أو في أكثر الأشهر حرارة (آب) حيث تتراوح ما بين ٤ر٦ - ٦ درجات مئوية. ولعل انخفاض التباين الحراري اليومي هذا في كل من الصيف والشتاء يعود إلى تأثير البحر المتوسط الذي يعمل على تلطيف درجة حرارة المدينة.

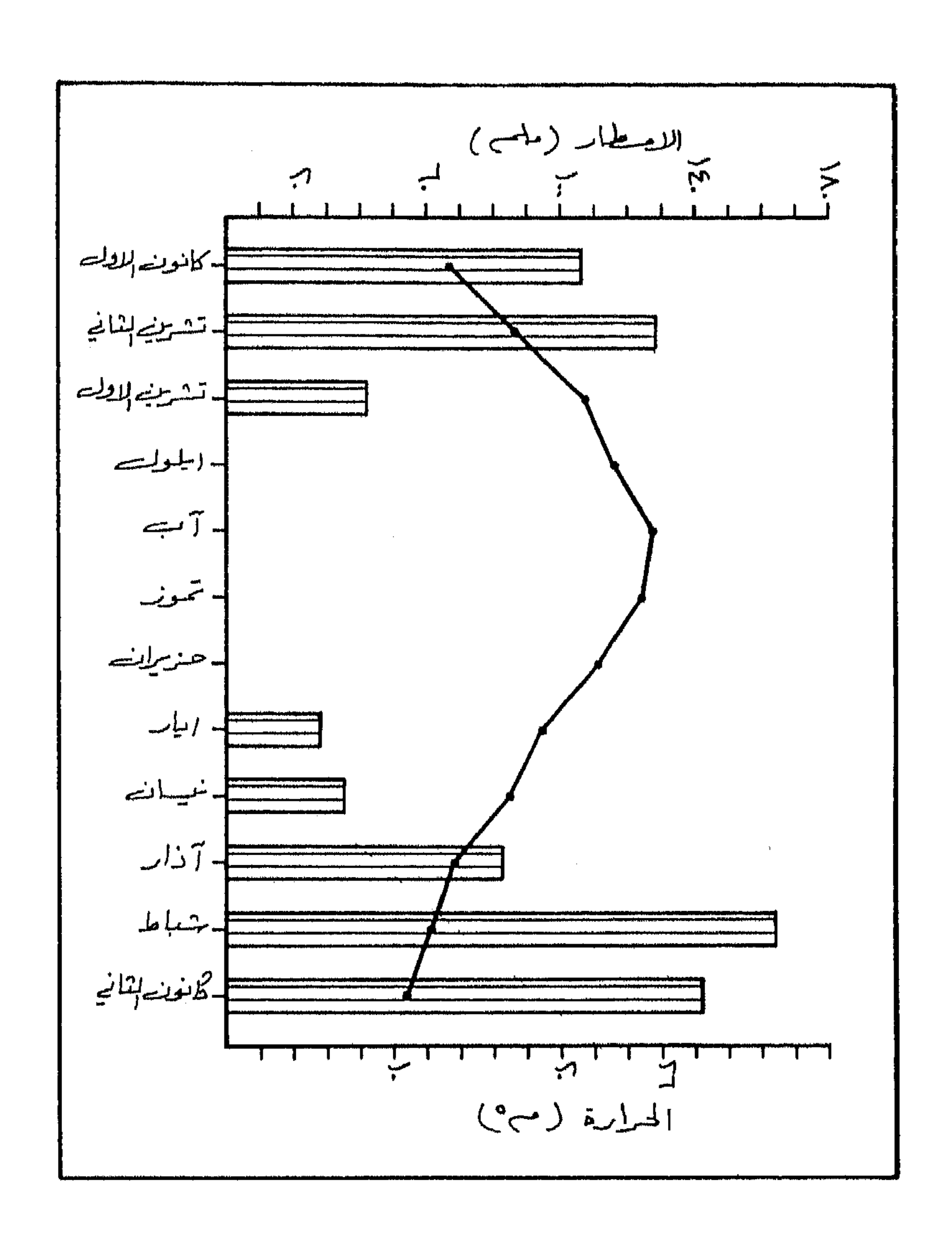
جدول ـ ١ ـ مدينة طولكرم : درجات الحرارة العظمي ، الدنيا، المتوسط حسب الأشهر لسنوات مختارة .

الشهر	١٩٦٥			١٩٨٠			١٩٨٣		
	دنيا	عظمى	متوسط	دنيا	عظمى	متوسط	دنيا	عظمى	متوسط
كانون ٢	٨,٩	١٧,٠	١٣,٠	٧,٩	١١,٩	٩.٩	٧.٦	١١,١	٩,٤
شباط	٨,٢	١٩,٣	١٣,٨	٨,٠	١٢,٥	١٠,٣	٨,١	١١,٤	٩,٨
آذار	٩,٦	٢٣,١	١٦,٤	٩,٠	١٥,٣	١٢,٢	٩,٩	١٤,٦	١٢,٣
نيسان	١١,٣	٢٤,١	١٧,٧	١٢,٩	٩,٧	١٦,٣	١٤,١	١٩,٥	١٦,٨
أيار	١٣,٥	٢٨,٦	٢١,١	١٣,٩	١٩,١	١٦,٥	١٤,٥	٢٣,١	١٨,٨
حزيران	١٨,٦	٣٢,٢	٢٥,٤	١٧,١	٢٣,٨	٢٠,٥	١٧,٥	٢٥,١	٢١.٣
تموز	٢٠,٣	٣١,٨	٢٦,١	٢٠,٧	٢٧,٢	٢٤,٠	٢١,٢	٢٧,٦	٢٤,٤
آب	٢١,٦	٣٢,٢	٢٦.٩	٢٠,٩	٢٧,٣	٢٤,١	٢٢,٢	٢٨,٢	٢٥,٢
إيلول	١٩,٩	٣١,٥	٢٥,٧	١٨,٩	٢٥,٤	٢٢,٢	١٩,٤	٢٦,٣	٢٢,٩
تشرين ١	١٥,٧	٢٧,٤	٢١,٦	١٦,٨	٢٣,٩	٢٠,٤	١٨,٥	٢٤,٩	٢١,٧
تشرين ٢	١١,٦	٢٤,٣	١٨,٠	١٣,٩	١٩,٦	١٦,٨	١٤,٥	٢٠,٧	١٧,٦
كانون ١	١٠,٦	٢٠,٨	١٥,٧	١٠,٢	١٤,٤	١٢,٣	١١,٤	١٤,٩	١٣,٢

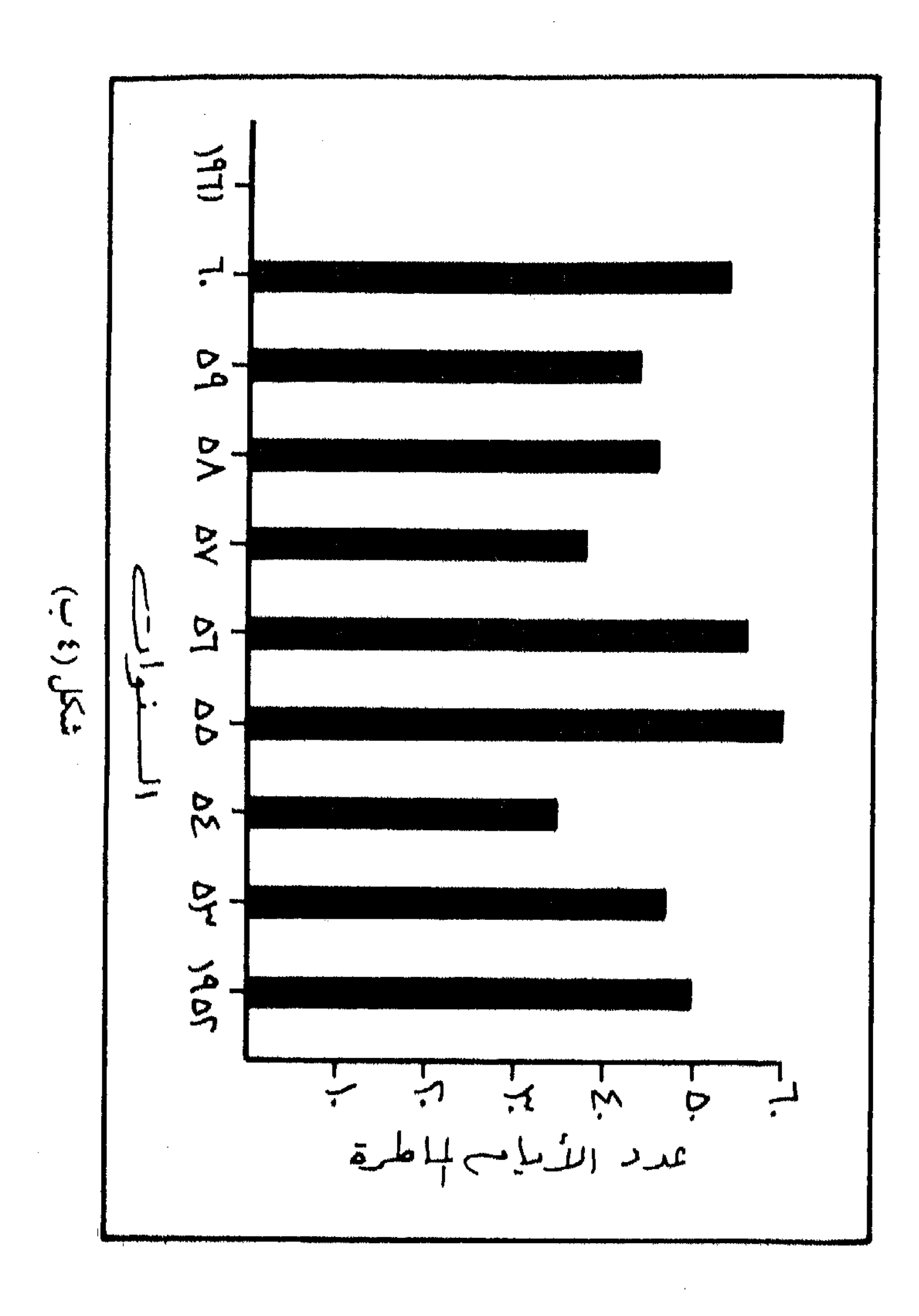
المصدر:

سلطة المصادر الطبيعية ، النشرة الفنية .

مركز الدراسات الريفية ، النشرة الاحصائية السنوية للمناطق المحتلة ، رقم ١ ، جامعة النجاح الوطنية ـ نابلس ، ١٩٨٠ ، ص ٤١ و ١٩٨٣ ص ١٨٨ .



شكل (٤ أ) التوزع الشهري لمعدلات الحرارة والامطار في مدينة طولكرم



عدد الأيام الماطرة
١٠
٢٠
٣٠
٤٠
٥٠
٦٠
السنوات
١٩٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
١٩٦١

شكل (٤ ب)

أما الفروق الحرارية الفصلية بين الصيف والشتاء وبالذات بين كانون الثاني وآب فهي أكثر وضوحاً إذ تتراوح بين ٩,١٠ - ٩,١٤ درجات مئوية.

من خلال الجدول (١) يتضح أن درجة الحرارة الدنيا في أبرد الأشهر (كانون الثاني) لا تنخفض دون ٧° مئوية في حين أن أعلى درجات الحرارة قد ترتفع في أكثر الأشهر حرارة (آب) إلى ٣٢,٢° مئوية. وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أثر البحر كعامل ملطف لدرجات الحرارة ليس فقط بين الليل والنهار وإنما أيضاً بين الصيف والشتاء حيث يبعد أشهر الشتاء عن درجة التجمد وكذلك يعمل على تقليص درجة الحرارة صيفاً.

يتضح من شكل (٤) رتابة الصفة المناخية للمدينة، حيث يتم الانتقال صعوداً أو هبوطاً في درجات الحرارة خلال فصول وأشهر السنة بشكل تدريجي، لذا يأخذ المنحنى السنوي لدرجات الحرارة شكلاً مقارباً للتوزيع الطبيعي حيث يبلغ قمته في أشهر الصيف بينما تكون أطرافه المتدنية في أشهر الشتاء.

الأمطار:

تعد منطقة طولكرم من المناطق الوفيرة الأمطار في فلسطين بوجه عام. ويتراوح معدل مطرها السنوي قرابة ٦٠٠ ملم سنوياً. وتسقط أمطار المنطقة خلال فصل الشتاء، الذي يمتد من شهر تشرين ثاني وحتى شهر أيار، رغم تباين بداية ونهاية موسم سقوط الأمطار من عام لآخر. كما تتباين كمية وتوزيع وديمومة سقوطها. ويلاحظ من جدول (٢) ان هناك اختلافاً واضحاً في كميات الأمطار السنوية وفي عدد الأيام المطيرة. وانه لا يوجد علاقة قوية بين كل منهما إذ ليس شرطاً أن تكون أكثر السنين أمطاراً اكثرها من حيث عدد الأيام المطيرة. وهذا يعني ان غزارة الأمطار وتركزها من العوامل الهامة المحددة للسمات المناخية للمدينة.

وعلى العموم يتراوح المعدل السنوي للأمطار نحو ٦٠٠ ملم في حين يبلغ المعدل السنوي لعدد الأيام المطيرة (٤٩) يوماً. ويعتبر شهر شباط أكثر الأشهر من حيث كميات الأمطار وعدد الأيام.

جدول ـ ٢ ـ مدينة طولكرم: كميات الامطار السنوية وعدد الأيام المطيرة

السنة	كمية الأمطار (ملم)	عدد الأيام المطيرة
١٩٥٩	٤٧٠	٤٤
١٩٦٠	٥٢٧	٥٤
١٩٦١	٦٦٧	٥١
١٩٦٢	٥٣٧	*
١٩٦٣	٧١٩	*
١٩٦٤	٩٠٠	*
١٩٦٥	٥٤٦	*
١٩٦٦	٨٠٤,١	*
١٩٨٠	٣٦٤,٥	*
١٩٨٣	٨٦٢,٦	*
١٩٨٤	٦٣١,٥	*
المتوسط السنوي	٦٣٨,٩	٤٩,٦

المصدر:

ـ سلطة المصادر الطبيعية، النشرات الفنية لعدة سنوات، مركز الدراسات الريفية، النشرة الاحصائية السنوية، جامعة النجاح، نابلس.

* البيانات غير متوفرة.

يبدو أن هناك تمركزاً واضحاً في كميات الأمطار الساقطة على مدينة طولكرم، حيث تسقط معظمها (٨٧,٤٪) خلال الشهور الأربعة الممتدة من كانون الثاني إلى آذار. أما نصيب الأشهر المطيرة الأخرى (نيسان، تشرين الأول وتشرين الثاني) فيبلغ ١٢,٦٪، ومن المعروف أن هذه الأشهر الأخيرة تنتسب إلى أحد الفصلين الإنتقاليين.

وينعكس هذا التوزع الشهري للأمطار على الإنتاج الزراعي. قد ينتج عن توزع كميات الأمطار على عدد أكبر من الأيام أو عدد قليل منها نتائج غير إيجابية على الإنتاج الزراعي حيث تضيع كميات كبيرة منها في حالة التركز الشديد بالتسرب والتبخر والجريان السطحي، أما توزعها الطويل فيعني عدم كفايتها لحاجة النبات خاصة في بداية موسم النمو - آذار - والتي يكون النبات فيها بحاجة أكثر للمياه وغالباً ما يؤدي انحباس سقوط الأمطار خلال الأشهر الأخيرة من فصل المطر إلى أضرار جسيمة على الإنتاج الزراعي.

الرياح:

تهب على المدينة وإقليمها الرياح الغربية العكسية شتاء والتي تصحب قدوم وتولد المنخفضات الجوية فوق البحر المتوسط في هذا الفصل. وتسبب في الغالب طقساً مضطرباً وينتج عنه سقوط المطر وحدوث العواصف الرعدية المقرونة بالبرق. وتكون سرعة هذه الرياح معتدلة تزداد خلال شهري كانون ثاني وشباط.

أما في فصل الصيف فتخف حدة تأثير الرياح الغربية العكسية السائدة وتصبح على شكل رياح محلية تهب من البحر إلى البر نهاراً، تؤدي إلى تقليص الفروق الحرارية وتلطف من درجات حرارة الداخل.

الرطوبة:

يمكن أن نلمس بوضوح التباين في معدلات الرطوبة النسبية الشهرية وتبقى شهور الشتاء أكثر بالمعدل رطوبة من أشهر الصيف. وتتراوح الرطوبة

النسبية بين ٤٠ ـ ٧٠٪ صيفاً و ٧٠ ـ ٨٥٪ شتاء. ولا تقل نسبة الرطوبة عن ٤٠٪ لأقل الأيام رطوبة، ولا عن ٥٨٪ لأقل الأشهر رطوبة.

كما ويمكن أن نلمس الفرق في نسبة الرطوبة واضحاً بين الليل والنهار حيث تصل نسبة الرطوبة أعلى قيمة لها خلال الساعات الأولى من النهار في حين تكون ساعات الظهيرة أدنى ساعات النهار رطوبة.

الموارد المائية :

لا تقل كميات الأمطار السنوية الساقطة على المدينة ولوائها عن ٥٠٠ ملمتر سنوياً، حيث تكفي هذه الكمية لممارسة الزراعة البعلية فيها. إلا أن طول وجفاف فصل الصيف من جهة وتذبذب واختلاف التوزع الشهري للأمطار يؤثر بشكل ملموس وواضح على المساحات الزراعية، ومستوى الإنتاجية الزراعية في المنطقة التي تعد حرفة الزراعة النشاط البشري الرئيس لسكانها، سواء كان ذلك من حيث نصيبها من الدخل الفردي أو من حيث نسبة عدد العاملين فيها.

ولإيضاح طبيعة وخصائص هذا المصدر الحيوي تجدر الإشارة إلى أن معدلات التبخر المرتفعة في الصيف الجاف وقابلية الصخور العالية لإنفاذ المياه السطحية عند سقوط الامطار تعتبر من العوامل الهامة التي تساعد على ضياع كميات كبيرة من مياه الأمطار. ولتكون الصورة أكثر وضوحاً فإننا سندرس الموارد المائية للمدينة حسب مصادرها والتي تقسم إلى قسمين :

أ ـ المياه السطحية :

تفتقر المنطقة إلى وجود أنهار أو أودية دائمة الجريان، وتقتصر مياهها السطحية على جريان مياه الشتاء في أودية لفترات محدودة وغير منتظمة من العام، تتفاوت في طاقتها من عام لآخر تبعاً لتفاوت كميات الأمطار الساقطة على أحواض تلك الأودية. ولا يوجد في المنطقة من هذه المجاري ما يستحق الذكر سوى :

١ ـ وادي الزيمار: الذي يمر بالقسم الشمالي الغربي من مدينة طولكرم، قادماً من سفوح جبال نابلس مروراً ببيت أمرين وبرقا وبزارية والذي يواصل المسير بعد

طولكرم إلى حيفا. وينتج عن تدفق ينابيع جبال نابلس والأمطار الشتوية جريان المياه فيه في بعض السنوات المطيرة لفترة شهرين.

٢ - وادي التين: ويبدأ من سفوح جبل الطور (الجبل الجنوبي) شرقاً باسم وادي النقعة ثم يلتقي بواد آخر بالقرب من كفر قدوم من جهة الشمال الغربي متخذاً إسم وادي التين. ويحول سيره باتجاه طولكرم بعد أن كان متجهاً للشمال الغربي، فيتجه للجنوب مروراً بقريتي ارتاح وفرعون ثم إلى السهل الساحلي فالبحر المتوسط. ويمتاز هذا الوادي بقلة الينابيع المغذية له ولهذا فإن جريان المياه فيه غالباً ما يكون محدوداً لأيام قليلة وفي فترة سقوط الأمطار الغزيرة.

ومن الأودية الجافة التي قد تفيض بالمياه في فصل الشتاء وفي بعض المواسم، هناك وادي البرق الذي يتصل مع نهر الحويطات ثم يسير باتجاه الغرب إلى قرية قلنسوة ثم البحر المتوسط، ووادي قانة جنوبي قلقيلية الذي يبدأ من جنوب جبال نابلس مروراً بقرية كفر ثلث ثم إلى السهل الساحلي.

٣ - آبار الجمع:

نظراً لفصل الجفاف الطويل وتوفر مياه الشتاء فقد حرص سكان المنطقة على جمع مياه الشتاء في برك اصطناعية لتوفير حاجاتهم من المياه للشرب وري الحيوانات، حيث نجد أن معظم الأسر تمتلك بئراً أو أكثر والتي غالباً ما تتواجد في المناطق المكشوفة والصخرية وسفوح التلال.

ب - المياه الجوفية:

تساعد طبيعة وتكوين السطح في المنطقة على سهول نفاذية المياه السطحية إلى الطبقات الحاملة للمياه. ويقدر أن ٤٠ - ٥٠٪ من كميات المياه السطحية تجد طريقها بالرشح للتجمع في خزانات جوفية يصل مستواها إلى بضعة أمتار من السطح قبل أن تستنزف لغايات الزراعة المروية المكثفة في المنطقة.

فقد ساعدت المكونات الكلسية الطباشيرية التي تشكل الطبقات السطحية للمنطقة والميل في الغالب باتجاه الغرب، ساعدا في ارتفاع معدلات

التسرب مما عوض الخسارة والنقص في المياه السطحية، حيث أمكن ومنذ القديم استغلال هذه المياه عن طريق ضخها بواسطة مضخات وحفر آبار ذات أعماق قليلة نسبياً (٣ ـ ١٣م) تقريباً، في حين كان سمك طبقة المياه تتراوح بين (٦٠ ـ ١٣٥م). ويوجد بالمنطقة عدد كبير من الآبار تتراوح طاقتها بين ٣٠ ـ ٧٠م٣/ الساعة تستخدم لغايات الري والزراعة.

إلا أن التوسع في الزراعة المروية ونمو قرى ومدن المنطقة وزيادة حاجتها للمياه للأغراض المنزلية خاصة ولأعمال البناء والصناعة عامة، ساعد في ارتفاع معدلات الضخ مما أثر على مستوى المياه الجوفية وأدى إلى انخفاضها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن سياسة الاحتلال تقوم بفرض السلطة والرقابة على ضخ المياه واستغلالها. وتوجه القسم الأعظم من الاحتياطي الموجود لخدمة أغراضها الزراعية، ولا توجد تقديرات معلومة وصحيحة عن طبيعة وظروف هذا المصدر لاعتباره قضية أمنية، الأمر الذي لا بد من التنبه اليه عند رسم أي سياسة مستقبلية لتنمية إمكانيات المنطقة واستغلالها الاستغلال الأفضل. وسندرس هذه الآبار الجوفية فيا بعد عند الحديث عن الزراعة المروية.

الفصل الثاني

البيئة التاريخية

النشأة وتطور التسمية :

ترجع الآثار التي تم اكتشافها حتى الآن تاريخ استيطان مدينة طولكرم إلى عصر الرومان ، وبالتحديد إلى القرن الثالث الميلادي . وقد عرفت آنذاك باسم بيرات سوريقا (Birat Soreqa) وتعني «بئر كرم مختار»[1] . وتشير كثير من المصادر التاريخية إلى قدم استيطان طولكرم والذي يرجعه بعضها إلى زمن الكنعانيين ، ويستدل على ذلك من خلال ما عثر عليه من آثار في القرى المجاورة لها كالكرمل ، جت ، مجدولين وجلجال وغيرها من المدن والقرى التي لا زالت تحتفظ بأسمائها القديمة مع شيء من التحريف[2] .

وقد وردت طولكرم في كتابات المقريزي وفي معجم البلدان لياقوت الحموي باسم «طولكرم» وتعني حرفياً «جبل الكرم» ، وهذا ما تشتهر به مدينة طولكرم وقراها المجاورة . وقد ظلت طولكرم تعرف بهذا الأسم حتى القرن الثاني عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)[3] . ويعتقد أن كلمة طور قد حرفت إلى طول

---

١ ـ مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج٣ ، ق ٢ ، ص ٢٤٧ .

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية ، مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

٣ ـ المقريزي ، أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٢ ، ص ٥٣٢ .

ودعيت باسم «طول كرم»، الاسم الذي ظلت تعرف به حتى يومنا هذا. ويعتقد ابن خلدون أن طولكرم هي أجنادين التي وقعت على أرضها معركة اجنادين المشهورة بين المسلمين والروم عام ٦٣٧م[٤].

بقيت طولكرم قرية صغيرة مساحة وسكاناً حتى الثلاثينات من هذا القرن، علماً بأن اتخاذها غامضة لقضاء بني صعب عام ١٨٩٢ من قبل العثمانيين قد أسهم في رفع شأنها وتطورها[٥]. كما ساعد مرور خط سكة الحديد المتجه إلى الساحل غرباً على نمو المدينة وتطورها، إلى أن حدثت حرب فلسطين عام ١٩٤٨. لقد صاحب ذلك هجرة قسرية لآلاف المواطنين الفلسطينيين من القرى والمدن المجاورة، (خصوصاً من ذلك الجزء من قضاء طولكرم الذي اغتصبه الصهاينة) إلى مدينة طولكرم والاستقرار فيها. وقد أقام قسم منهم في مخيم نورشمس المجاور. واستمرت المدينة في النمو السكاني والعمراني إلى أن احتلها الصهاينة عام ١٩٦٧، إذ أدى ذلك إلى خسرانها لربع سكانها الذين غادروها إلى الضفة الشرقية. مع ذلك استمرت المدينة في استقبال المهاجرين إليها من سكان القرى المجاورة.

تاريخ المدينة عبر العصور:

لا يوجد تاريخ محدد لبداية استيطان المدينة، إذ أن ما عثر عليه من آثار حتى الآن، يثبت أن المدينة كانت قائمة إبان حكم الرومان لبلاد الشام في القرن الثالث الميلادي[٦].

وتشير المصادر التاريخية الإسلامية إلى استيطان طولكرم قبل ذلك من جانب الكنعانيين، ويستدل على ذلك من كتابات الفراعنة[٧]. وقد ورد ذكر

---

٤ ـ خمار قسطنطين، جغرافية فلسطين المصورة، ص ٦٢ ـ ٦٣.

٥ ـ مصطفى الدباغ، مصدر سابق، ج ٣، ق ٢، ص ٢٤٨.

٦ ـ Orni, E. and Efral, E, Geography of Israel, p. 416.

٧ ـ المقريزي، مصدر سابق، ص ٥٣٢.

طولكرم في العهد المملوكي، ففي القرن الثالث عشر الميلادي أقطع الظاهر بيبرس سلطان المماليك طولكرم مناصفة لقائديه: الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير بدر الدين بيسرى الشمسي الصالحي[٨].

وقد ظلت طولكرم تتبع في إدارتها مدينة نابلس حتى نهاية القرن التاسع عشر، عندما أحدث العثمانيون قضاء جديداً في شمال فلسطين عرف باسم «قضاء بني صعب» وجعلوا طولكرم عاصمة له. وبالرغم من اتخاذها عاصمة للقضاء الجديد، فقد ظلت المدينة صغيرة في حجمها العمراني والسكاني. فلم يتجاوز عدد سكانها حتى الحرب العالمية الأولى ثلاثة آلاف نسمة. وقد كانت طولكرم مقراً لقيادة الجيش العثماني الثامن خلال الحرب العالمية الأولى. وكان هذا أحد الجيوش العثمانية الثلاثة التي عهد إليها الدفاع عن فلسطين[٩].

وعند قيام البريطانيين بهجومهم على الساحل الفلسطيني سقطت طولكرم بأيدي القوات البريطانية في العشرين من إيلول عام ١٩١٨. وقد ازداد عدد سكان المدينة خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين حيث ارتفع عدد سكانها من (٣٣٤٩) نسمة عام ١٩٢٢ إلى (٨٠٩٠) نسمة عام ١٩٤٥[١٠]. ويعزى هذا التزايد السكاني إلى الزيادة الطبيعية للسكان وإلى الهجرة إلى المدينة من القرى المجاورة بسبب توفر فرص العمل والخدمات المختلفة كالماء والتعليم في المدينة.

لقد تأثرت مدينة طولكرم باغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ بدرجة واضحة. فرغم سلامة المدينة من براثن الاحتلال، إلا أنها خسرت مساحات كبيرة من أراضي القرى التابعة لقضائها نتيجة لسيطرة قوات الاحتلال على القسم الغربي من قضاء طولكرم والذي تضمن (٢٦) قرية وخربة و(٨) مضارب لبعض عشائر البدو. والجدول (٣) يتضمن هذه القرى المغتصبة.

---

٨ ـ مصطفى الدباغ، مصدر سابق، ج٣، ق ٢، ص ٢٤٧.

٩ ـ نفس المصدر السابق.

١٠ ـ نفس المصدر السابق.

جدول -٣ - القرى والخرب المغتصبة من قضاء طولكرم عام ١٩٤٨

القرية	عدد سكانها	مساحتها (دونم)	مساحة اراضيها (دونم)	املاك اليهود فيها (دونم)
أم خالد	٩٧٠	٢٣	٢٨٩٤	٨٨٢
باقة الغربية	٢٢٤٠	٧٦	٢٢٠٢٤	٨٨٦
جت	١١٢٠	٣١	٩٦٣١	صفر
جلجوليا	٧٤٠	١٥	١٢٦٨٥	٣٦٥
خربة ابتان	كانت في العهد البريطاني تضاف إلى دير الغصون			
خربة بيت ليد	٤٢٠	٢٢		صفر
خربة الجلمة	٧٠	تعتبر من	أراضي عتيل	صفر
خربة خريش		٢٠	٣٦٥٥	صفر
خربة زلفة	٢١٠			
		تعتبر من أراضي عتيل		صفر
خربة السكة				
		تعتبر من أراضي دير الغصون		صفر
خربة المنشية	٢٦٠			
		تعتبر من أراضي عتيل		صفر
خربة يما				
		تعتبر من أراضي دير الغصون		صفر
رمل زيتا «خربة قزازة»	١٤٠			
		تعتبر من أراضي قرية زيتا		صفر

القرية	عدد سكانها	مساحتها (دونم)	مساحة اراضيها (دونم)	املاك اليهود فيها (دونم)
الطيبة	٤٢٩٠	٢٨١	٤٠٦٢٥	٦٢٩٤
الطيرة	٣١٨٠	٩٦	٣١٣٥٩	٣٧٢٠
غابة كفر صور	٧٤٠		١٠	صفر
فرد يميا	٢٠	١٦	١٠٩٢	صفر
قاقون	١٩٧٠	١٣٧	٤١٧٦٧	٤٦٤٢
قلنسوة	١٥٤٠	٤٧		صفر
كفر برا	١٥٠	١٤	٣٩٥٩	صفر
كفر سابا	١٢٧٠	٢٦	٩٦٨٨	٣١٤٤
كفر قاسم	١٤٦٠	٥٨	١٢٧٦٥	صفر
مسكة	٨٨٠	٨٨		صفر
وادي الحوارث الجنوبي	٤٨٠			صفر
وادي الحوارث الشمالي	٨٥٠			صفر
وادي القباني	٣٢٠			صفر

المصدر: ـ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ ١، ق ١، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧.

بالاضافة للمواقع المثبتة في الجدول، اغتصب اليهود الخرب التالية الواقعة في السهل الساحلي والتي كان ينزلها سكان القرى الجبلية في المواسم الزراعية لجني المحاصيل أولزرعها وهذه الخرب هي: خربة تبصر، خربة عزون، خربة الزبابده، غابة جيوس، غابة الطيبة الشمالية، غابة العبابشة وغابة مشكة.

وقد تضمن القسم المغتصب من قضاء طولكرم عام ١٩٤٨ مواقع العشائر البدوية التالية: عرب العائد، عرب البلاونة، عرب الحويطات، عرب الملالحة، عرب القطاطوة، عرب الرميلات، عرب السواركة وعرب النصيرات[١١].

وتعتبر الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧ فترة نمو وتوسع في رقعة المدينة المساحية وحجمها السكاني، فقد زادت مساحتها من (١٦٧٢) دونما عام ١٩٤٥ إلى (٢٤٠٠) دونما عام ١٩٦٦. كما ارتفع عدد سكانها من (٨٠٩٠)نسمة عام ١٩٤٥ إلى (٢٠٦٨٨) نسمة عام ١٩٦١. وقد نجم عن هذا التزايد السكاني اتساع عمراني بحيث اتصلت المدينة القديمة بالقرى المجاورة لها، حيث انضمت إليها قرية ذنابة من الشرق وقرية أرتاح من الجنوب الشرقي.

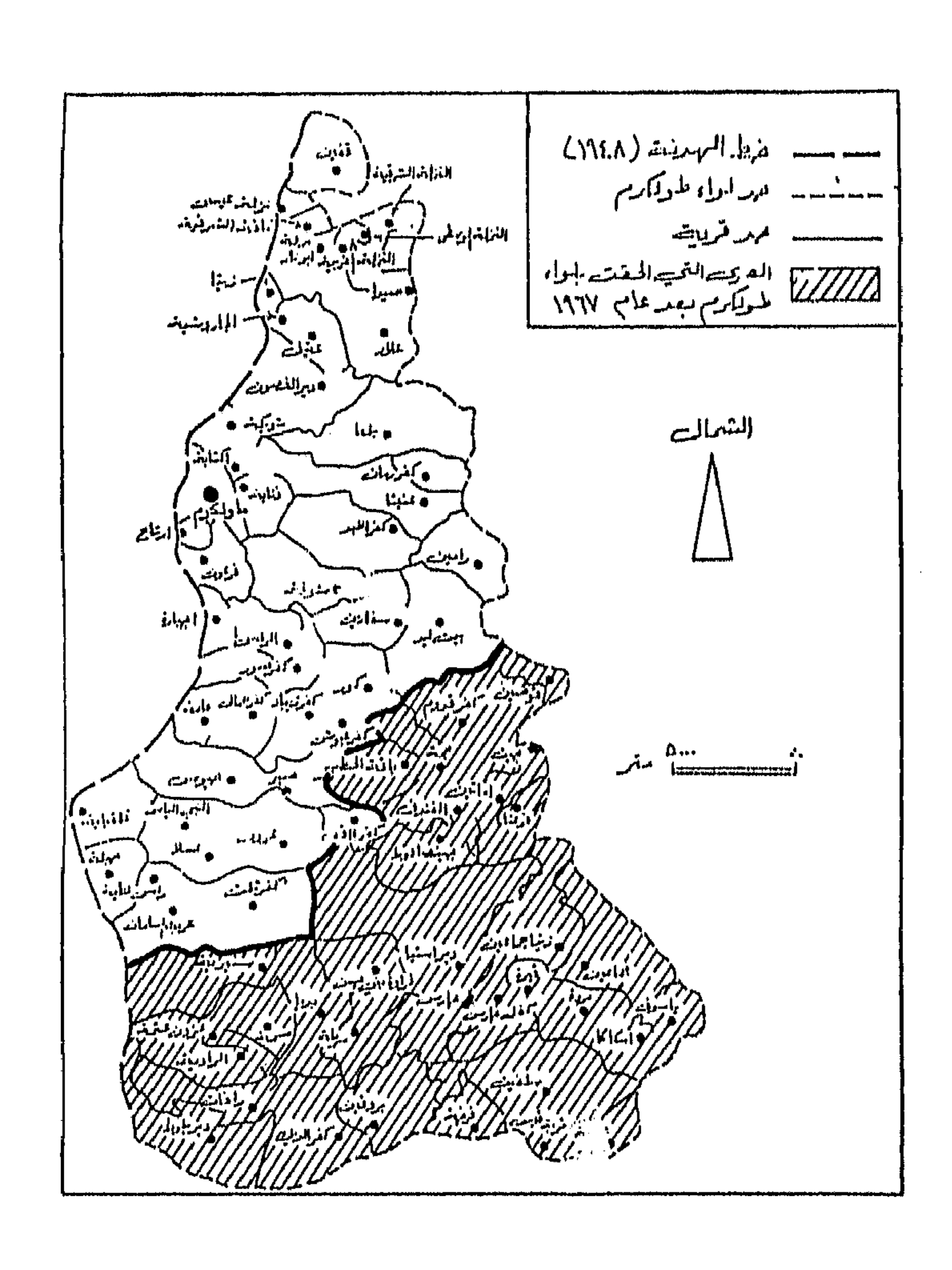
وقد ظلت مدينة طولكرم خلال الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ مركزاً لقضاء (لواء) طولكرم، يتبع لها إدارياً (٤٢) قرية واسماء هذه القرى مثبتة في الشكل (٥).

وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ وما نجم عنها من احتلال إسرائيلي للضفة الغربية ونزوح قسم كبير من سكانها بما فيها مدينة طولكرم، تقلص عدد السكان المتبقين في المدينة في نهاية عام ١٩٦٧ إلى (١٥١٧٧) نسمة أوما يعادل ٣/٤ مجموع سكانها عام ١٩٦١. إلا أن إصرار أبناء طولكرم على الصمود في الأرض ومقاومة الاحتلال جعلهم يزدادون ارتباطاً بها حيث واصلوا إعمارها وتطويرها فاتسعت رقعة المدينة لتصل ٥٨٠٠ دونما عام ١٩٨٥. كما زاد عدد سكانها ليصل إلى حوالي (٣٠٠٠٠) نسمة عام ١٩٨١.

لقد عملت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على إلحاق قرى جيدة إلى لواء طولكرم حيث بلغ مجموع القرى التابعة للواء (٧٧) قرية كما هو موضح في الشكل (٥).

---

١١ ـ نفس المصدر السابق.



شكل (٥) قرى لواء طولكرم بعد عام ١٩٦٧



مستعمرة يهودية في منطقة طولكرم

الاستيطان الاسرائيلي في منطقة طولكرم:

مع أن مدينة طولكرم نفسها قد سلمت من شر الاستيطان الإسرائيلي، إلا أن لواءها وقع فريسة لذلك الاستيطان خصوصاً في القسم الغربي منه والذي كان يشمل جزءاً من السهل الساحلي. وكما سبق وأشرنا استولى اليهود على ذلك الجزء بما عليه من قرى وأراض زراعية ومضارب يدوية عام ١٩٤٨. والقسم الغربي من أراضي لواء طولكرم يشتمل على الأراضي الساحلية الخصبة وذات الاتصال الميسر مع البحر في حين لم يولوا اهتماماً كبيراً للقسم الجبلي من أراضي اللواء حتى بعد احتلال الضفة الغربية في عام ١٩٦٧. علماً بأن ما يسمى بـ «حزام شارون» قد تصوّر عزل مدينة طولكرم عن بقية اجزاء الضفة[١٢]. ويوضح جدول (٤) المستوطنات الاسرائيلية التي أقيمت في منطقة طولكرم بعد عام ١٩٦٧.

---

١٢ ـ عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية.

جدول ـ ٤ ـ المستعمرات الاسرائيلية في منطقة طولكرم

اسم المستعمرة	تاريخ الانشاء	المساحة بالدونمات أو وحدات السكن	الموقع
ارئيل حارس	١٩٧٧	٥٠٠٠ دونم	أراضي سلفيت وكفل حارس
تسورناتان	١٩٧٧		بالقرب من قرية كفر صور
صلعيت	١٩٧٩		اراضي كفر صور
افني خفش	١٩٨٣	١٠٠٠ وحدة سكنية	شرق طولكرم
تسوفيم	١٩٨٣		١٥كم شرق قلقيلية
مير يا يعربت	١٩٨٤		بالقرب من مدينة طولكرم

المصدر:

ـ مجلة العمل، العدد، ص ٥٤ ـ ٥٥.

عبد الرحمن ابو عرفة، الاستيطان، دار الجليل للنشر، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

المواقع الأثرية:

نتيجة للتاريخ غير القصير الذي عاشته مدينة طولكرم والمنطقة الواقعة حولها فقد نجم عن ذلك تواجد بعض المواقع الأثرية بجوار مدينة طولكرم التي اهمها:

١ ـ برج العطوط:

تعرف احياناً باسم «البرج الأحمر» كما تعرف باسم «خربة البرج»، تقع

الخربة على بعد ٩كم غرب المدينة[١٣]. ويروى المقريزي أنها البقعة من الأرض التي اقتطعها الظاهر بيبرس عام ١٢٦٥ لاثنين من قواده، وهما الأمير سيف الدين بلبان الزيني الصافي والأمير ناصر الدين القيمري[١٤]. ويمكن ملاحظة بقايا برج وعقود وآثار بركة وأساسات في خربة البرج[١٥]. وقد أقام المغتصبون الصهاينة في ظاهر الخربة قلعة أسموها كفاريونا Kefar Yona[١٦].

٢ ـ خربة أم صور:

يعتقد أن هذه الخربة هي بقايا لقرية صوران Suran الرومانية. وتبعد هذه الخربة عن خربة البرج بنحو ٣ كم إلى الجنوب الغربي، من بقاياها الماثلة تل منخفض، مع بقايا سور محيط وأبنية قديمة إضافة إلى الأعمدة والعقود وصهاريج المياه وخزانات لجمعها[١٧].

٣ ـ خربة بورين:

تبعد نحو ٤ كم إلى الغرب من مدينة طولكرم، أقيمت أثناء الحروب الصليبية على هذه الخربة قلعة (Casal Neuf) وهي الآن عبارة عن تل من الانقاض والأساسات. وكما حصل في قرية البرج فقد أقطع الظاهر بيبرس خربة بورين مناصفة بين إثنين من قادته هما، الأمير جمال الدين أقوش المحمدي الصالحي، والأمير الدين الطنب الحمصي[١٨].

٤ ـ نور شمس:

تبعد ٣ كم إلى الشرق من مدينة طولكرم. شهدت معركة في ٢٢ حزيران من عام ١٩٣٦ حيث اشتبك المناضلون الفلسطينيون بقيادة عبد الرحيم الحاج

---

١٣ ـ الدباغ، مصدر سابق، ص ٢٦٤.

١٤ ـ المقريزي، مصدر سابق، ص٥٣٣.

١٥ ـ الوقائع الفلسطينية ١٤٨٨.

١٦ ـ الدباغ، مصدر سابق، ص ٢٦٤.

١٧ ـ الوقائع الفلسطينية ١٥١٩، عن الدباغ، مصدر سابق.

١٨ ـ نفس المصدر ١٥١٦.

محمد مع الجنود البريطانيين لساعات طويلة[19]. بالإضافة إلى هذه المواقع الأثرية، يتضمن لواء طولكرم أماكن أثرية أخرى كما هو موضح في ملحق (١).

القلاع في جوار مدينة طولكرم :

١ ـ يادحنا Yad Hanna : تقع في ظاهر طولكرم الشمالي الغربي، مقابل قرية «اكتابا».

٢ ـ عولش Olesh : تقع في الغرب من يادحنا. أقيمت عام ١٩٤٩م، كان بها حسب احصاءات ١٩٦١ (٤٠٧) يهود.

٣ ـ بورجتا Burgeta : تقع في ظاهر عولش الجنوبي الغربي وعلى بعد ثلاثة كيلومترات من طولكرم. تأسست عام ١٩٤٩. كان بها في ١٩٦١/١/١ (٨٧٨) يهودياً.

٤ ـ نيتساني عوز Nitsanei : تقع بجانب طولكرم الغربي، تأسست عام ١٩٥١، وإلى الغرب من خربة بورين المتقدم ذكرها..

٥ ـ تنوبوت Tenuvo : تقع في الجهة الغربية من نيتساني عوز، انشئت عام ١٩٥٢، كان بها في ١٩٦١/١/١ (٥٢٠) يهودياً.

٦ ـ يانوب Uanuv : تقع في ظاهر تنوبوت الغربي. اقيمت عام ١٩٥٠، كان بها في ١٩٦١/١/١ (٥٢٢) يهودياً.

٧ ـ بير وتاييم Beerotayim : تأسست عام ١٩٤٩، تقع بجانب «خربة بورين» كان بها في عام ١٩٥٦ (٣٤١) يهودياً.

نضال المدينة :

لقد تصدى سكان مدينة طولكرم وقراها للمعتدين، ولم تكن مواقفهم النضالية محصورة ضمن حيز مكاني محدد في فلسطين. فقد وقف أهل المنطقة إلى

---

١٩ ـ الدباغ، مصدر سابق، ص ٢٦٥.

جانب أخوتهم من أبناء فلسطين في دحر قوات الأغتصاب الصهيوني، حيث تشكلت المجموعات النضالية التي انضم إليها أبناء البلاد ووقفت أمام العدو أينما تمثلت مخاطره وبرزت مطامعه. ولسنا هنا بصدد تقييم الدور البطولي والحصر الشمولي لما قدمه أهل فلسطين من أجل الذود عن حماها. إذ لا نستطيع وبهذه العجالة أن نلم إلا بالنزر اليسير منه. وسنكتفي هنا بالإطلال على درب النضال الطويل الذي قدمه ويقدمه سكان مدينة طولكرم وقضاؤ ها من خلال بعض الصور النضالية لمسيرة النضال الطويل. والتي توضح وبجلاء إصرار أبناء فلسطين على التضحية في سبيل استرداد الحقوق المغتصبة منهم.

لقد وقف أبناء مدينة طولكرم وعلى رأسهم الشيخ سعيد الكرمي أمام ظلم الاتحاديين الأتراك احتجاجاً على مظالم جمال باشا وإعدامه للأحرار في دمشق عام ١٩١٦ معرضاً حياته للإعدام الذي حول فيما بعد إلى السجن المؤبد، كما برز الشهيد ابراهيم العموري كنموذج للنضال والتضحية عندما وقف أمام المحتلين البر يطانيين وقاومهم حتى استشهد رغم شدة مرضه.

وقد وقفت قرى ومدن لواء طولكرم أمام موجات الاغتصاب، وقد كان لمدينة قلقيلية النصيب الأكبر من هذه الموجات. حيث جابهت وببسالة يساندها سكان القرى المجاورة وأبناء فلسطين جابهت الغزاة من اليهود والبر يطانيين مرات عديدة خاصة بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧.

وقد شكل هؤلاء نواة للثورة تكونت من (٢٠٠) رجل عند البداية استطاعت أن تجهز نفسها بالسلاح من خلال جمع التبرعات من المواطنين، ما لبث أن تضاعف عددها إلى ١٢٠٠ شخصاً خلال مدة وجيزة، تمكنوا من تحقيق النصر على الطغاة في معظم المعارك الأولى من عام ١٩٤٨ وتمثلت أعمالهم في قطع طرق مواصلات العدو من خلال تدمير جسور السكة الحديدية.

ولقد خاض أبناء قلقيلية وقراها المجاورة معارك متتالية عام ١٩٤٨ من أبرزها ما وقع في ٢٦ و٢٧ شباط و١٨ أيار و١٨ حزيران و٢٥ أيلول من العام نفسه. ولم يحقق فيها المناضلون مكاسب كبيرة نظراً لموقف بريطانيا إلى جانب



قلقلية

سلطـات الاحتـلال الإسـرائيـلي ودعمهـا لها. كما تعـرضت مدينة قلقيلية لعدوان اسـرائيـلي في ٢٠/١٠/١٩٥٦ وكـان نتيجـة لهذه المعـارك أن قدمت المدينة وقراها الشهداء الأبرار عنواناً للوفاء وحباً للأرض.

ونـذكـر من صور البطولة ما قدمه ابن عنبتا البار الشهيد الشاعر عبد الرحيم محمـود الـذي التحق بصفـوف الثـورة عام ١٩٣٦، ثم غادر بلاده إلى السعـوديـة للعمـل فيهـا، وعـاد ثانية بعد قرار التقسيم للجهاد والتضحية إلى أن استشهد في معركة الشجرة في ١٤ تموز ١٩٤٨.

كما قدم أهـل بلعـا والسكـان المحيطـين بها صوراً فذة من البطـولـة والفداء خلال ثورة عام ١٩٣٦، يذكـر عيسى السفـري اثنتـين منهـا أحـدهما يوم ١٠ آب ١٩٤٦ والأخـرى في ١٣ أيلول عام ١٩٣٦ استطـاعت قوات الثـوار أن ترد قوات الاحتـلال الإنجليـزي خائبة في المعركتين، ولكن بريطانيا انتقمت من أهل القرية بنسف قسم كبير من بيوتهم بعد ذلك.

أمـا قريـة زيتـا فقـد وقفت أمـام نابليـون عام ١٧٩٩ عنـدمـا غزا سوريا، وأحبطت مكيـدة الفـرنسيين وهزمتهم حيث فشل في جر أهلها للنزول إلى السهل وترك الجبل مما أوقعه وجيشه في كمائن نصبها له الثوار في الاخاديد والجروف.

وقـد تصـدت لابـراهيم باشا عام ١٨٣٥ حيث استطاع أن يهزم ثوارها وان يقتل نحو ٧٠٠ ثائراً منهم ومن ثوار القرى المجاورة الذين وقفوا معاً ضد محمد علي وحكمه في سوريا.

وقد هدم اليهود قرية زيتا في ٥ ـ ١٠ حزيران عام ١٩٦٧، فهي واقعة على خط الهدنة بعد ان رحلت قوات الاحتلال سكانها في التاسع من شهر حزيران عام ١٩٦٧. وطلبت من سكـانهـا عدم العـودة إلى بيوتهم بعد أن فرضت عليهم نظام منع التجول، أنجزت القوات الإسرائيلية خلاله هدم ٦٧ بيتاً منها.

أمـا قاقـون الواقعة على مدخل مدينة طولكرم، فقد قاومت الغزاة منذ عهد نابليـون وابـراهيم باشـا، وتصـدت ومنـذ البـدايـة إلى أعـمال الثـورة ضد سكان مستعمـرة الخضـيرة منـذ قيـام ثورة يافـا عام ١٩٢١ مما دفـع الـبر يطانيين لفرض

غرامـات كبـيرة قدرهـا سـتـة آلاف جنيه . قام السكان بموجات من الاضطرابات أسفـرت عن استشهـاد ٤٨ ثائـراً برصـاص قوات الاحتلال البريطاني ، في الوقت الذي تكبدت فيه تلك القوات ٤٧ قتيلاً و١٤٦ جريحاً .

كما تصـدت قاقـون إلى قوات الغزو الصهيوني في ٤ حزيران ١٩٤٨ ، فقام اليهود بقصف القرية بالمدفعية التي كانت نتيجتها استشهاد عشرة ثوار وجرح عشرة آخـرين . دخـل اليهود بعدها القرية وحاول الجيش العراقي الذي أوكلت له مهمة الـدفـاع عنهـا اسـتردادهـا فلم يتمكن من ذلك مما اضطره لقصفها بالمدفعية حتى هدمت كاملاً .

مشاهير وشخصيات المدينة عبر تاريخها :

الشيخ سعيد بن علي بن منصور الكرمي :

وهـو من أبنـاء طولكـرم الـذين أسهمـوا بدرجـة كبـيرة في مجالات العلم والسياسـة . فقد حكم عليه جمال باشا بالإعدام ثم عدّل حكمه بالسجن المؤبد . ويعـد الشيـخ الكـرمي من مؤسسي المجمـع العلمي العـربي في دمشق ١٩١٩ . شغـل منصب رئيس المجمـع . ولـه رصيـد هائـل من الكتابات التي تضمنتها مجلة المجمع العربي تناول فيها مجالات لغوية واجتماعية علاوة على تعريفه بالمخطوطات[٢٠] .

نصب الشيخ الكرمي قاضياً عام ١٩٢٢ ووكيلاً للشؤون الشرعية في شرق الأردن . كما أشرف على مجالات التعليم واهتم فيها وخلفه ابنه من بعده وقد توفي في مسقط رأسه طولكرم عام ١٩٣٥[٢١] .

---

٢٠ ـ نفس المصدر، ص ٢٦١ .

٢١ ـ نفس المصدر، ص ٢٦٢ .

أحمد شاكر سعيد الكرمي :

ولـد في مدينـة طولكـرم عا١٧٩٤ ، درس علومه الابتدائية في مسقط رأسه ، أكمـل علومـه في الجـامـع الأزهـر ، وشغـل منصب محرر جريدة «القبلة» في مكة ، وبعدها جريدة الكوكب في القاهرة ، وكان ذلك بعد الحرب العالمية الأولى . تنقل بين مصـر وطـولكرم ودمشق ، وعمل رئيساً للمجمع العربي فيها ، حيث أنشأ مجلة الميزان . وتوفى لمرض ألم به في حياة والده عام ١٩٢٧ .

ابراهيم العموري :

من رجال الثورة الفلسطينية الذين قدموا تضحيات جسام عام ١٩٣٦ ضد المغتصبـين الصهـاينة . وقد عمل ضمن قوات المرحوم الشهيد عبد الرحيم محمود ، وكان دوره ورفيقه سليمان أبو خليفة ورفاقهم ، قطع طرق المواصلات على حصون اليهود في سهول طولكرم ومواجهة قوات الاحتلال الإنجليزي .

أقعـده المرض عن النضـال عام ١٩٣٩ مما اضطـره للزوم البيت فحاصرته قوات الاحتلال البريطاني ، إلا أنه آثر الاستشهاد على السجن فاستشهد بعد أن قاوم المحتلين المحاصرين لبيته .

درويش المقدادي :

من مربي فلسطين والوطن العربي ، الذين أسهموا في تعليم الأجيال الأولى من هذا القـرن . عمـل مدرسـاً في الكليـة العربية بالقدس والكلية الإسلامية فيها بعد تخرجه من الجامعة الأمريكية في بيروت . كما عمل مدرساً بعد ذلك في كليات بغـداد ، ثم عهـد إليـه عام ١٩٤٨ ، بمـديرية المعارف في امارة الكويت ، وبعدها عمل في وزارة التربية والتعليم الكويتية إلى أن توفي في بيروت عام ١٩٦١ .

عبد الرحمن الحاج ابراهيم :

وهـو من عائلة المقـدادي الذي عمل على نهضة المدينة وتطورها عندما كان

رئيساً لبلديتها ، حيث تم في عهده مد أنابيب المياه للبيوت وإنشاء حديقة عامة ، وعمل على محاربة الأمية وزيادة عدد المدارس . وفي عهده تم فتح المدرسة الزراعية (خضوري) ومدرسة لصناعة السجاد في مدينة طولكرم .

الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي :

أحد أكبر علماء الحنابلة في مصر، تصدر للإفتاء في الجامع الأزهر. وعرف كإمام محدث فقيه ، وذو اطلاع واسع ووضع أكثر من سبعين مؤلفاً . وتوفي عام ١٠٣٣هـ في مصر.

يوسف بن يحيى بن مرعي الكرمي :

تصدّر للإفتاء في الديار النابلسية بعد أن أخذ العلم عن علماء مصر. توفي عام ١٠٧٨هـ.

أحمد بن يحيى الحنبلي الكرمي :

تلقى العلم على أيدي علماء الأزهر وعلى يدي عمه الشيخ مرعي . توفي عام ١٠٩١هـ.

الشيخ علي منصور الكرمي :

ولد في طولكرم عام ١٢٣٠هـ. تلقى العلم في دمشق وعندما عاد إلى بلاده كان مرجعاً للحنابلة حيث عمل قاضياً فيها . وتوفي في طولكرم عام ١٣١٥هـ.

عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى»[٢٢] :

ولد عبد الكريم بن سعيد بن علي بن منصور الكرمي في مدينة طولكرم عام

---

٢٢ ـ الفار، مصطفى محمد، أبو سلمى الأديب الانسان، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ١٩٨٠ .

ـ الكرمي، عبد الكريم، ديوان أبي سلمى، دار العودة، ط ٢ ، ١٩٨١ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٤ .

١٩٠٩. وهو ابن الشيخ سعيد الكرمي السابق ذكره. بدأ دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم الحكومية، انتقل إلى دمشق عام ١٩١٨، حيث درس في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية المقابلة للمجمع العلمي. لقّب بأبي سلمى أثر قصيدة نظمها في فتاة دمشقية مطلعها:

سلمى انظري نحوي فقلبي يخفق   لما يشير إلي طرفك أطرق

وبعد أن سمعها أستاذه محمد الداودي أطلق عليه اسم «أبو سلمى».

بعد أن حصل أبو سلمى على شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٢٧ توجه إلى القدس حيث درس في معهد الحقوق ونال شهادة المحاماة، وكان أثناء ذلك يعمل معلماً في المدرسة العمرية في القدس، ثم انتقل للعمل في المدرسة الرشيدية عندما ساءت حالة الشاعر ابراهيم طوقان، بعد ذلك عمل في الإذاعة الفلسطينية. كما عمل محامياً في مدينة حيفا منذ عام ١٩٤٣، إذ عرف بالدفاع عن المناضلين الفلسطينيين حتى غدا في فترة قصيرة محامياً مشهوراً. بعد النكبة نزح أبو سلمى إلى دمشق حيث زاول مهنتي التدريس والمحاماة، كما عمل عضوا في مجلس التأديب ثم في وزارة الإعلام السورية. وشارك في العديد من المؤتمرات العربية والآسيوية والإفريقية والعالمية.

عرف أبو سلمى كشاعر وطني، فحين اندلعت ثورة عام ١٩٣٦ نظم قصيدة عنوانها «جبل النار» يقول فيها:

جبل النار يا أعز الجبال   أنت لا زلت معقد الأمال

يصور في قصيدته هذه المعارك البطولية التي خاضها الثوار فوق جبال فلسطين في عدة مجموعات شعرية منشورة.

ويبين الجدول التالي الشخصيات القيادية الفلسطينية من مدينة طولكرم والتي شاركت في المؤتمرات واللجان الوطنية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين.

جدول ـ ٥ ـ الشخصيات القيادية من طولكرم المشاركة في المؤتمرات واللجان الوطنية ١٩١٧ ـ ١٩٤٨

ـ المؤتمر السوري ١٩١٩ ـ ١٩٢٠	سليم عبد الرحمن، الشيخ سعيد الكرمي.
ـ المؤتمر الفلسطيني ١٩١٩	توفيق الصنيعي، الشيخ سعيد الكرمي.
ـ المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع ١٩٢١	سليم عبد الرحمن، عبد الله سمارة، فياض الخضر، خليل الصباغ، عبد الرحمن الحاج ابراهيم.
ـ المؤتمر العربي الفلسطيني ١٩٢٣	عبد الله سمارة.
ـ المؤتمر الفلسطيني السابع واللجنة التنفيذية ١٩٢٨.	عبد الله سمارة، طاهر حنون، حمدان الحاج، عبد الفتاح محمود، سليم عبد الرحمن، هاشم الجيوسي، فريد الحمد الله، قاسم العبد الخضر، عبد اللطيف أبو هنطش، نمر عبد القادر، يونس العمر، عبد الجبار العمر.
المؤتمر الاسلامي للدفاع عن المسجد الاقصى والأماكن الإسلامية المقدسة ١٩٢٨.	نمر عبد القادر، عبد اللطيف أبو هنطش، محمد عبد الحليم، محمد العورتاني، نافع العنبتاوي، حسن المقدادي، عبد الله سمارة، سليم عبد الرحمن، فارس أبو الذرة، محمود الحاج يوسف، أحمد عبد القادر، عبد الرحيم حنون.
ـ الاجتماع الخاص في اللجنة التنفيذية لبحث مشكلتي الهجرة وبيع الأراضي ١٩٣٣.	عبد الرحيم حنون.

ـ الحزب العربي الفلسطيني تأسس عام ١٩٣٥	عبد الله سمارة .
ـ اللجان القومية في الناصرة وطولكرم واللد ١٩٣٦	طاهر حنون ، أحمد نمر عبد القادر، عبد الله سمارة، فريد الحمد الله ، عبد الحليم محمد، أمين القاروط ، فريد الجيوسي ، راشد الجيوسي ، صادق أبو الرب ، منير السختيان .
ـ مؤتمر اللجان القومية ١٩٣٦	سليم عبد الرحمن، خليل خوري ، عبد الله سمارة، فريد الحمد الله ، صادق أبو الرب .

المصدر:

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ ، بيروت ـ لبنان .

الفصل الثالث

الخصائص الديموغرافية

أصل السكان[1]

لايمكن فصل أصل السكان في مدينة طولكرم عن أصل سكان القرى المجاورة لها أو حتى عن أصل سكان بقية المدن الفلسطينية. غير أن بعض المصادر، تحاول إرجاع أصل سكان المدينة إلى بنوبهراء من قبيلة قضاعة، وهي إحدى القبائل العربية التي نزلت مدينة طولكرم قبل الإسلام. ومن المنتسبين إلى هذه الجماعة المقداد بن الأسود، أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد استمرت طولكرم غير ذات أهمية إلى أن أصبحت في نهاية العهد العثماني مركزاً لقضاء بني صعب في أواخر القرن الماضي. وربما تعود هذه التسمية «بنو صعب» إلى آل صعب الذين اتخذوا من جبل عامل موطناً لهم في عهد صلاح الدين الأيوبي، ويعتقد أن سلطان آل صعب قد امتد إلى هذه المناطق. كما يعتقد أن هناك قبائل عربية أخرى قد أقامت في طولكرم وأثرت في أصل سكانها، كقبائل الحوارث المنتسبين إلى قبيلة حارثة من طيء القحطانية، وعرب العائد وهم من جذام القحطانية وأقاموا في مسكة وجلجوليا. أما عرب البلاونة وهم من قضاعة القحطانية فأقاموا في قرية أم خالد، في حين أقام عرب الحويطات وعرب القطاطوة

---

١ ـ الموسوعة الفلسطينية، ص ١٢٦.

في غابة كفر صور. أما مسكة والطيبة وقلنسوة فسكنها عرب الرميلات، في حين أقام عرب السواركة وعرب النصيرات في كل من كفر سابا وغابة كفر زيباد على التوالي[٢].

لا يوجد في المصادر التاريخية أو السجل العثماني ما يشير إلى تواجد اليهود في طولكرم حتى نهاية القرن السابع عشر. لذا ظلت المنطقة عربية في أرضها وسكانها. ولقد ركزت حركات الهجرة اليهودية اهتمامها في السيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة، فكانت سهول منطقة طولكرم من المناطق التي اهتمت بها الشركات اليهودية، والتي حاولت بدعم من سلطات الانتداب البريطاني الحصول على مكاسب وامتيازات فيها. ومع أن عدد سكان المدينة قد تضاعف عدة مرات منذ مطلع هذا القرن، إلا أن عدد اليهود في المدينة كان محدوداً جداً فلم يتجاوز (٢٣) شخصاً عام ١٩٢٢ من أصل مجموع السكان البالغ (٣٣٤٩) وانخفض إلى (١٨) يهودياً من أصل مجموع سكان المدينة البالغ (٨٤٢٧) شخصاً من أصل مجموع سكان المدينة البالغ آنذاك (٨٠٩٠) شخصاً[٣].

نمو سكان المدينة وتطورهم العددي:

تعود أقدم البيانات السكانية الخاصة بمدينة طولكرم إلى عام ١٩٠٤ حيث قدر عدد سكانها آنذاك بـ(١٩٨٤) نسمة. وفي بداية الانتداب البريطاني ازداد عدد سكان المدينة ليبلغ (٣٣٤٩) نسمة، مسجلاً بذلك معدل نمو سنوي قدره ٣,٨٪. واستمر تزايد عدد سكان المدينة بفعل الزيادة الطبيعية وبفعل انتقال السكان اليها من القرى المجاورة إلى أن بلغ (٢٠٦٨٨) نسمة في عام ١٩٦١. ويعود الفضل في الزيادة السريعة لسكان مدينة طولكرم بعد عام ١٩٤٨ إلى الهجرة القسرية التي تعرض لها القسم الأكبر من أبناء فلسطين، اذ كان لاستيلاء

---

٢ ـ الموسوعة الفلسطينية، ص ١٢٦.

٣ ـ الدباغ، بلادنا فلسطين، ص ٢٥٣.

سلطات الاحتلال على عشر قرى مجاورة لمدينة طولكرم، سبباً في تدفق أعداد كبيرة من السكان المهاجرين من تلك القرى المغتصبة إلى مدينة طولكرم والاستقرار فيها، كما ظهر مخيم عين شمس الذي يعتبر في كثير من الإحصاءات جزءاً من المدينة. واتسعت رقعتها العمرانية لتلبغ ٣ كم طولاً من الشمال الى الجنوب، و٣ كم عرضاً من الشرق إلى الغرب حيث التقت بقرية ارتاح من الجنوب الشرقي وبقرية ذنابة من الشرق.

لقد تعرض نمو مدينة طولكرم السكاني إلى معوقات واضحة الأثر نجمت عن احتلال الضفة الغربية عام ١٩٦٧، مما ترتب عليه هبوط عدد سكان المدينة في أواخر ذلك العام إلى (١٥,١٧٧) نسمة مسجلاً بذلك نمو سكاني عن العام الذي سبقه قدره - ٣١٪. إلا أن التوسع الأفقي لمدينة طولكرم وما نجم عنه من ضم بعض القرى القريبة إليها مثل ارتاح وذنابة، والزيادة الطبيعية للسكان والمهاجرين من قرى المنطقة الى المدينة، ساهمت جميعاً في تزايد عدد سكانها بشكل واضح والذي قدّر عام ١٩٨١ بما يزيد على ٣٠٠٠٠ نسمة، حيث بلغ معدل النمو السنوي للسكان خلال الفترة الاخيرة حوالي ٧٪. والجدول رقم (٦) يوضح التطور العددي ومعدل النمو السنوي لسكان مدينة طولكرم خلال القرن الحالي.

والنمو السكاني في العادة حصيلة ثلاثة متغيرات رئيسية هي: المواليد والوفيات والهجرة. وسنلقي الضوء على هذه المتغيرات بالقدر الذي تسمح به البيانات المتوفرة لإبراز دورها في نمو سكان المدينة.

المواليد:

لا تختلف مدينة طولكرم كثيراً عن بقية المدن الفلسطينية خصوصاً الريفية منها، من حيث ارتفاع معدلات المواليد ومن دراسة حالات الولادة في الفترة بين عامي (١٩٤٨ و١٩٦٣) يلاحظ أن مجموع حالات الولادة آخذ في الارتفاع خلال فترة الدراسة، حيث ارتفع بما يقل قليلاً عن الضعف خلال التسعة أعوام الأولى أي بمعدل سنوي قدره ١٠,٤٪. والسبب الرئيسي في نمو عدد حالات الولادة

يعود إلى ارتفاع الحجم السكاني للمدينة وما قد ينجم عنه من زيادة عدد الأفراد المتزوجين . ومن الملاحظ أن معدل المواليد الخام منخفض بشكل واضح إذ أنه لم يصل في أقصاه (٤٠) بالألف وربما يعزي ذلك إلى عدم الدقة في تسجيل حالات الولادة ، إذ قد يتوفى المولود قبل أن تسجل ولادته ، خصوصاً إذا تمت الوفاة في الأيام الأولى من العمر. ومع جنوح معدل المواليد الخام للثبات حول (٣٠) بالألف في بداية الخمسينات من هذا القرن ، إلا أنه أخذ في الهبوط في نهايتها وربما يعزى ذلك إلى هجرة قسم كبير من الفئة الشابة العاملة والمنجبة للعمل في الخارج مما خفض عدد السكان في فئة الانجاب وبالتالي خفض معدل المواليد الخام .

وتعتبر مدينة طولكرم أقل خصوبة من نظيراتها في الضفتين الشرقية والغربية ، إذ بلغ معدل (نسبة الأطفال دون الخامسة من العمر لكل ١٠٠٠ امرأة في الفئة العمرية ١٥ - ٤٩) ٦٩٢ .

جدول - ٦ - تطور عدد السكان ومعدل نموهم في مدينة طولكرم ١٩٠٤ - ١٩٨١

السنة	عدد السكان	نسبة النمو (٪)	النمو السكاني السنوي (٪)
١٩٠٤	١٩٨٤	-	-
١٩٢٢	٣٣٤٩	٥٩,٢٤٥	٣,٨٠
١٩٣١	٤٨٢٧	٤٤,١٣	٤,٤٠
١٩٤٥	٨٠٩٠	٦٧,٦٠	٤,٨٠
١٩٦١	٢٠ ٦٨٨	١٥٥,٧٢	٩,٧٣
١٩٦٦	٢٢ ٠٠٠	٦,٣٤	١,٢٦
١٩٦٧	١٥ ١٧٧	-٣١,٠١	-٣١,٠١
١٩٨١	٣٠ ٠٠٠	٩٧,٦٦	٦,٦٧

المصدر: الموسوعة الفلسطينية ، ص ١٢٦ .

- مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج٣ ، ق٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

الوفيات :

تعتبر الوفيات العنصر الثاني المهم في معادلة النمو السكاني وبعكس المواليد (الخصوبة) التي يمكن الحكم فيها وضبطها، فإن الوفيات يمكن خفضها بفعل الرعاية الصحية والطب الوقائي، إلا أنه ليس من الممكن منع حدوثها بشكل مطلق. ومدينة طولكرم كغيرها من أرجاء فلسطين وبقاع العالم المختلفة تشهد انخفاضاً مستمراً في معدلات الوفيات، وذلك لتحسن مستويات الدخل وما ينجم عنها من تحسن في مستوى التغذية والرعاية الصحية.

ومن دراسة حالة الوفيات للفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨ يمكن ملاحظة انخفاض معدل الوفيات الخام بشكل مستمر، ولعل الفضل في ذلك يعود لتحسن مستويات التغذية والمعيشة والصحة العامة. ويلاحظ أن عدد حالات الوفاة تراجعت في طولكرم من (١٨١) حالة عام ١٩٥١ إلى (٩٤) حالة عام ١٩٥٨، كما تراجع معدل الوفيات الخام من ٩,٨٨ إلى ٣,٦٦ في السنتين نفسيهما وعلى التوالي.

الهجرة :

في حين يعبّر الفرق بين كل من معدلي المواليد والوفيات عن النمو الطبيعي للسكان، فإن عامل الهجرة إذا ما أضيف إلى العاملين السابقين فإنه يوضح صورة النمو السكاني ككل سواء ما كان منه طبيعياً، أم بفعل الهجرة. وقد لاحظنا عند استعراض نمو السكان في مدينة طولكرم كيف ساهم عامل الهجرة خصوصاً في حروب عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ في تضخم سكان المدينة بعد الحرب الأولى نتيجة لتدفق اللاجئين إليها من مدن وقرى المنطقة التي احتلها الصهاينة عام ١٩٤٨. أما حرب عام ١٩٦٧ فقد نجم عنها هجرة أعداد من سكان المدينة إلى الضفة الشرقية أو للعمل في البلدان العربية النفطية وغيرها. لقد تمثل ذلك في خسران المدينة لربع سكانها. وبما أن المدينة مركز اللواء فإنها تستقطب المهاجرين من القرى المجاورة لها سواء الباحثين عن عمل وفرص استثمار، أم الباحثين عن مستوى حياتي وخدمات أفضل. ومثل هذه الظاهرة ـ الانتقال من الريف إلى المدينة ـ تعتبر ظاهرة مستمرة وخطرة في معظم بلدان العالم النامية.

ومن خلال التعداد السكني الوحيد الذي شمل سكان المدينة في عام ١٩٦١ اتضح أن هناك نسبة مرتفعة من أبناء المدينة العاملين في الخارج، والجدول رقم (٧) يبين التركيب العمري والنوعي لهؤلاء المهاجرين إلى الخارج.

جدول ـ ٧ ـ سكان مدينة طولكرم المقيمين في الخارج عام ١٩٦١

الفئات العمرية	المجموع	ذكور	اناث	نسبة النوع
دون ١٠ سنوات	٦٣٤	٣٣٤	٣٠٠	١١١,٣
١٠ ـ ١٩	٥٦٥	٣٦٣	٢٠٢	١٧٩,٧
٢٠ ـ ٢٩	١٣٧٤	١٠٦٣	٣١١	٣٤١,٨
٣٠ ـ ٣٩	٤٦٢	٣٨٢	٨٠	٤٧٧,٥
٤٠ ـ ٤٩	١٢٥	١١٥	١٠	١١٥٠,٠
٥٠ ـ ٥٩	٣٠	٢٣	٧	٣٢٨,٦
٦٠ ـ ٦٩	١٥	٩	٦	١٥٠,٠
٧٠ فما فوق	٥	٣	٢	١٥٠,٠
مجموع المقيمين في الخارج	٣٢١٠	٢٢٩٢	٩١٨	٢٤٩,٧
مجموع سكان المدينة	٢٠٦٩٠	١٠٦٣٢	١٠٠٥٨	١٠٥,٧
نسبة المقيمين في الخارج (٪)	١٥,٥١	٢١,٥٦	٩,١٣	-

المصدر:

دائرة الاحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن ١٩٦١، مجلد رقم (١) ص ٥٥. ٣٢٤، عمان، ١٩٦٤.

يتضح من الجدول رقم (٧) أن نسبة المقيمين في الخارج من أبناء طولكرم قد تجاوزت ١٥٪ معظمهم من الذكور، إذ بلغت نسبة النوع بينهم حوالي ٢٥٠ ذكراً

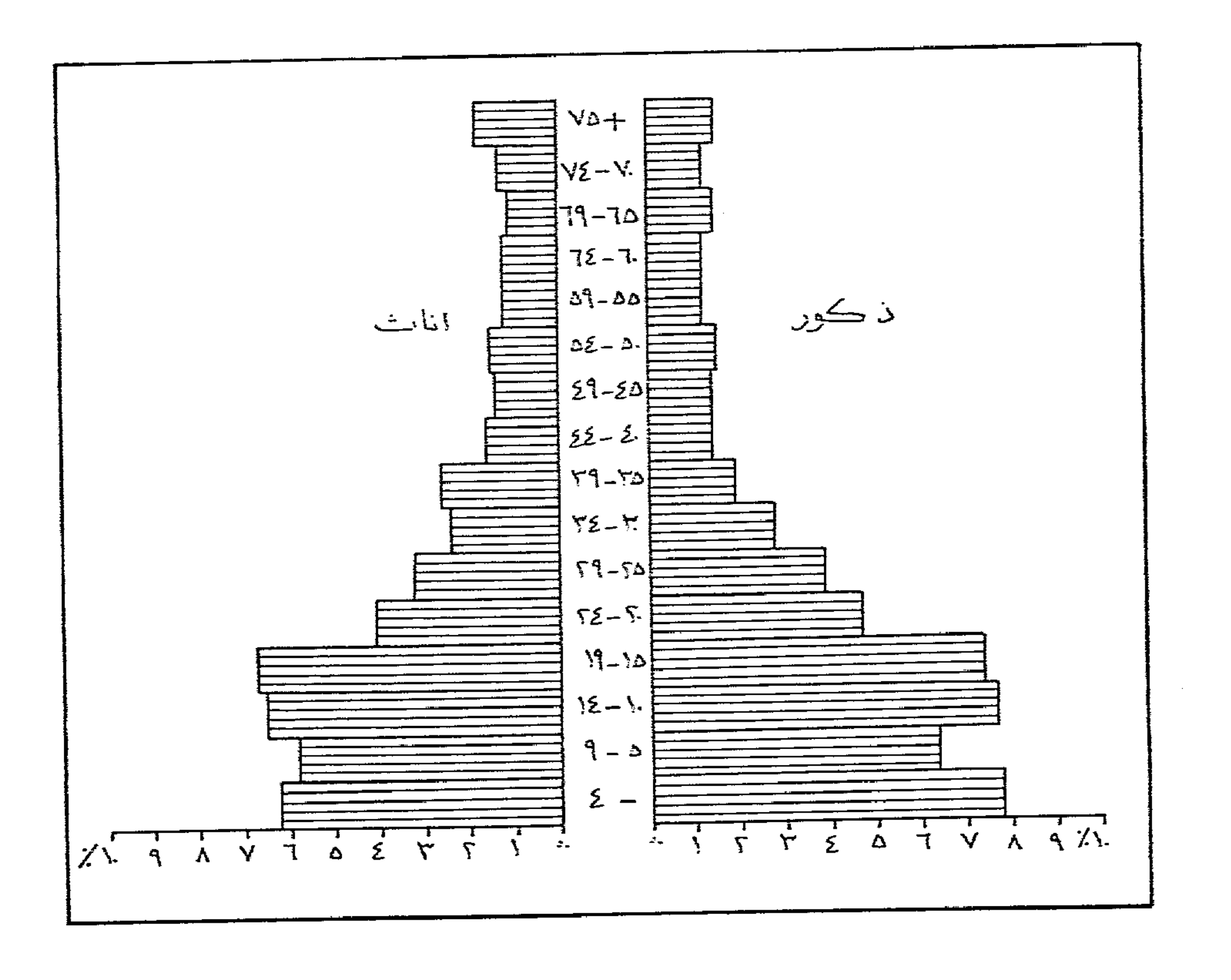
لكل مئة انثى . وقد بلغت نسبة النوع هذه ذروتها في الفئتين العمريتين ٣٠ - ٣٩ ، ٢٠ - ٢٩ حيث وصلت إلى ٤٧٧,٥ و٣٤١,٨ لفئتين المذكورتين على التوالي . أما المهاجرون من ذوي الأعمار ٢٠ - ٣٩ فيمثلون الجزء الأكبر من القوى العاملة المهاجرة ، إذ بلغت نسبتهم ٥٧,٢٪ من مجموع السكان المقيمين في الخارج وارتفعت لتصل إلى ٦٢٪ من مجموع السكان المقيمين في الخارج والذين يعتبر ون ضمن القوى العاملة (٢٠ - ٥٩) عاماً .

التركيب السكاني

إن دراسة التركيب السكاني بمفهومها الواسع هي التعمق في دراسة الخصائص الديموغرافية لمنطقة ما ، حيث يمكن الاستفادة من ذلك في مقارنتها بمنطقة أخرى أو بنفس المنطقة في فترات زمنية مختلفة . وفي هذا الجزء من الدراسة ستبحث عدة أشكال من التركيب السكاني لمدينة طولكرم ، وذلك مما سمحت به البيانات الوحيدة المتوفرة في هذا المجال ، والتي تعود إلى التعداد السكاني الوحيد الذي شمل سكان المدينة بالتفصيل والذي أجري عام ١٩٦١ . من أشكال التركيب السكاني التي ستتناولها هذه الدراسة ، التركيب العمري والنوعي ، التركيب الزواجي ، التركيب الاقتصادي ، التركيب التعليمي . كما سيناقش التركيب الديني وإن كانت بياناته تعود إلى ماقبل الخمسينات من هذا القرن .

التركيب العمري والنوعي :

يوضح جدول (٨) وشكل (٦) التركيب العمري والنوعي لسكان مدينة طولكرم في عام ١٩٦١ . لقد بلغ عدد سكان المدينة عند إجراء التعداد (٢٠٦٨٨) نسمة ، كان عدد الذكور بينهم (١٠٦٣٢) بينما بلغ عدد الإناث (١٠٠٥٨) نسمة وبذلك بلغت نسبة النوع (عدد الذكور لكل ١٠٠ أنثى) ١٠٥,٧ بالنسبة للسكان ككل ، إلا أنه كما يتضح من الجدول فإن نسبة النوع هذه تتفاوت بشكل واضح من



شكل رقم ـ ٦ ـ الهرم السكاني لمدينة طولكرم عام ١٩٦١

جدول ـ ٨ ـ التركيب العمري والنوعي لسكان مدينة طولكرم عام ١٩٦١

الفئات العمرية	المجمــوع		ذكــور		انــاث		نسبة
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	النوع
دون خمس سنوات	٣٢٣٥	١٥,٦	١٦٢١	١٥,٢	١٦٠٤	١٥,٩	١٠١,٠
٥ ـ ٩	٢٥٠٧	١٢,١	١٣١٤	١٢,٣	١١٩٣	١١,٩	١١٠,١
١٠ ـ ١٤	٢٩٤٢	١٤,٢	١٥٨٦	١٤,٩	١٣٥٠	١٣,٤	١١٧,٥
١٥ ـ ١٩	٢٩٣٠	١٤,١	١٥٣٦	١٤,٤	١٣٩٤	١٣,٩	١١٠,٢
٢٠ ـ ٢٤	١٧٨٨	٨,٧	٩٦٥	٩,١	٨٢٣	٨,٢	١١٧,٣
٢٥ ـ ٢٩	١٤٨٥	٧,٢	٧٩٧	٧,٥	٦٨٨	٦,٨	١١٥,٨
٣٠ ـ ٣٤	١٠٨٣	٥,٢	٥٨٧	٥,٥	٤٩٦	٤,٩	١١٨,٣
٣٥ ـ ٣٩	٩٣٢	٤,٥	٤٠٠	٣,٨	٥٣٢	٥,٣	٧٥,٢
٤٠ ـ ٤٤	٦٤٨	٣,١	٢٨٣	٢,٧	٣٦٥	٣,٦	٧٧,٥
٤٥ ـ ٤٩	٦٥٩	٣,٢	٢٨٣	٢,٦	٣٧٨	٣,٨	٧٤,٣
٥٠ ـ ٥٤	٦٩٨	٣,٤	٣١٥	٣,٠	٣٨٢	٣,٨	٨٢,٧
٥٥ ـ ٥٩	٤٥٣	٢,٢	٢٥٤	٢,٤	١٩٩	٢,٠	١٢٧,٦
٦٠ ـ ٦٤	٤٧٠	٢,٣	٢٤٨	٢,٣	٢٢٢	١,١	١٣٥,١
٦٥ ـ ٦٩	٢٦٨	١,٣	١٥٤	١,٤	١١٤	١,١	١٣٥,١
٧٠ ـ ٧٤	٢٦٠	١,٣	١٢٤	١,٢	١٣٦	١,٣	٩١,٢
٧٥ فما فوق	٣٣٢	١,٦	١٥٦	١,٥	١٧٦	١,٨	٨٨,٦
مجموع الأعمار	٢٠٦٩٠	١٠٠	١٠٦٣٢	١٠٠	١٠٠٥٨	١٠٠	١٠٥,٧

المصدر: دائرة الاحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن، مجلد رقم (١)، عمان، ١٩٦٤، ص ٥٥.

فئة عمرية لأخرى حيث وصلت حدها الأعلى وهو(١٣٥,١) في الفئة العمرية (٦٥ ـ ٦٩) سنة. أما حدها الأدنى فقد بلغته في الفئة العمرية (٤٥ ـ ٤٩) حيث انخفضت إلى (٧٤,٣).

أما بالنسبة للتركيب العمري فنلاحظ بوضوح اتساع قاعدة الهرم السكاني، حيث فئات صغار السن (دون ١٥ سنة) تشكل ٤٢٪ من مجمل السكان. وهذا بالطبع يتمشى مع نمط الأهرام السكانية للبلدان النامية التي تمر في مرحلة الشباب، حيث تمتاز بارتفاع معدلات الخصوبة، وكذلك ارتفاع معدلات الإعالة لصغار السن، وانخفاض معدلات توقعات الحياة عند الولادة لارتفاع معدلات الوفيات. وبالتالي فإن هذا النمط من الأهرام السكانية يحمل في طياته بذار نمو سكاني كامن، حيث عدد الأفراد الداخلين إلى سن الإنجاب من الإناث يفوق عدد الخارجين منه.

يمكننا من خلال تحديد نسبة السكان دون سن ١٥ سنة التعرف إلى معدل الإعالة لصغار السن، والذي يبلغ ٣, ٨١٪ أي أن هناك ٣, ٨١ شخص دون سن الخامسة عشرة (خارج قوة العمل النظرية) لكل ١٠٠ من السكان في الفئة العمرية ١٥ ـ ٥٩ والذين يشكلون قوة العمل النظرية. وتبلغ نسبة السكان في فئة قوة العمل (١٥ ـ ٥٩ سنة) ٦, ١٥٪ من إجمالي سكان المدينة.

أما الفئات العمرية الرئيسة الأخيرة فهي فئات كبار السن (٦٠ سنة فما فوق) والتي بلغ عدد أفرادها (١٣٣٠) نسمة أو ما نسبته ٤, ٦٪ من إجمالي سكان المدينة. لذا فإن معدل إعالة الكبار في مدينة طولكرم يصل ٥, ١٢٪ وهذا يعني أن هناك ٥, ١٢ شخصاً في المتوسط مقابل كل مئة شخص ممن هم في قوة العمل النظرية (١٥ ـ ٥٩ سنة).

وإذا ما أضيف معدل إعالة الصغار ٣, ٨١٪ إلى معدل إعالة كبار السن ٥, ١٢٪ فإننا نحصل على معدل الإعالة الكلي وهو٨, ٩٣ وهو بالتأكيد معدل مرتفع إلا أنه يتمشى مع نمط معدل الإعالة الكلي في البلدان النامية.

التركيب الاقتصادي :

يوزع التعداد العام للسكان الذي أجرته دائرة الإحصاءات العامة سكان مدينة طولكرم على ثمانية أنشطة اقتصادية رئيسية كما يتضح ذلك من جدول (٩)،

جدول ـ ٩ ـ التركيب الاقتصادي لسكان مدينة طولكرم عام ١٩٦١

النشاط الاقتصادي	السكان العاملين					
	المجموع		ذكور		اناث	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الزراعة والغابات والصيد	٩٤٢	٢٠,٠	٨٧٦	٢٠,٠	٦٦	٢٠,٣
المناجم والمحاجر	٣٤	٠,٧	٣٤	٠,٨	-	-
الصناعة التحويلية	٣٧٩	٨,٠	٣١٣	٧,١	٦٦	٢٠,٣
البناء	٢٤٩	٥,٣	٢٤٩	٥,٧	-	-
الكهرباء، الغاز، جمع القمامة والمجاري	١٣	٠,٣	١٣	٠,٣	-	-
التجارة	٣٦٠	٧,٦	٣٥٥	٨,١	٥	١,٥
النقل، المواصلات والتخزين	١٠٣	٢,٢	١٠٣	٢,٣	-	-
الخدمات	٩١٥	١٩,٤	٧٤٨	١٧,٠	١٦٧	٥١,٢
الانشطة غير الواضحة	١٧٢٢	٣٦,٥	١٧٠٠	٣٨,٧	٢٢	٦,٧
مجموع الأنشطة	٤٧١٧	١٠٠	٤٣٩١	١٠٠	٣٢٦	١٠٠

المصدر:

دائرة الاحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن، ١٩٦٠، المجلد رقم (٣)، ص ٣٠.

ويتضح من الجدول أيضاً أن الطبيعة الزراعية للمدينة قد برزت بوضوح حيث أن خمس السكان العاملين يكسبون عيشهم من قطاع الزراعة والغابات والصيد . أما القطاع الاقتصادي الرئيسي الثاني فهو قطاع الخدمات العامة والذي احتوى ١٩,٤٪ من مجموع العاملين . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مركزية المدينة بالنسبة لإقليمها حيث تعتبر مركزاً لتقدم الخدمات الصحية والتعليمية والإدارية للقرى الواقعة ضمن لواء طولكرم .

أما قطاع التجارة فيأتي الرابع في الأهمية حيث يعمل فيه مانسبته ٧,٦٪ من إجمالي القوى العاملة حيث يقدم هذا القطاع الاقتصادي خدماته لسكان المدينة ولسكان القرى الواقعة ضمن لواء طولكرم أيضاً .

ويحتل قطاع الصناعة التحويلية المركز الثالث من حيث نسبة توظيفه للأيدي العاملة ، إذ بلغت نسبة العاملين فيه ٨٪ وهي في الغالب صناعات غذائية واستهلاكية .

كما يتضمن الجدول أيضاً ما يزيد على ثلث القوى العاملة (٣٦,٥٪) الذين وصفت أنشطتهم الاقتصادية بأنها غير واضحة حيث لم يكن إدراجها تحت أي من الأنشطة السبعة الموضحة في الجدول .

وفيما يتعلق بالاستخدام يتضح من جدول (١٠) أن نسبة العاملين لحسابهم الخاص متدنية ، حيث بلغت ١٣,٥٪ ، وفي المقابل كانت نسبة العاملين لحساب شخص آخر هي الظاهرة المسيطرة على حالة الاستخدام ، حيث بلغت نسبتها ٧٥,٣٪ ، أما العاملون لحساب الأسرة وهم في الغالب يتألفون من النساء أو الأطفال الذين يساعدون رب الأسرة في عمله فلم يمثلوا سوى نسبة بسيطة من العاملين (١,٥٪) .

جدول ـ ١٠ ـ الحالة العملية للسكان العاملين اقتصادياً حسب الجنس في مدينة طولكرم عام ١٩٦١

الحالة العملية	المجموع		ذكور		اناث	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
مجموع العاملين اقتصاديا	٤٧١٧	١٠٠	٤٣٩١	١٠٠	٣٢٦	١٠٠
مجموع العاملين فعلا	٤٣٧٨	٩٢,٨	٤٠٧٥	٩٢,٨	٣٠٣	٩٢,٩
المستخدمون	١١٦	٢,٥	١١٦	٢,٦	-	-
العاملون لحسابهم	٦٣٨	١٣,٥	٥٦٢	١٢,٨	٧٦	٢٣,٣
العاملون بأجر (المستخدمين)	٣٥٥٣	٧٥,٤	٣٣٣٦	٧٦,٠	٢١٧	٦٦,٦
العاملون للأسرة	٧١	١,٥	٦١	١,٤	١٠	٣,١
الباحثون عن عمل	٣٣٨	٧,٢	٣١٦	٧٩٢	٢٢	٦,٧

المصدر:

دائرة الاحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن، مجلد رقم (٢)، الجداول النهائية: الخصائص الاقتصادية للسكان ١٩٦٤، ص ٤٨.

التركيب الزواجي:

تعود المعلومات الوحيدة في هذا الموضوع إلى التعداد العام الأول للسكان والذي أجرته دائرة الاحصاءات العامة عام ١٩٦١.

إن نسبة التزوج بين الذكور ممن بلغت أعمارهم ما يزيد على ثلاثة عشرة عاماً هي ٥٢,٦٪. واذا ما استثني الذكور ممن هم دون سن ١٥ سنة، حيث لا

يوجد من هو متزوج من الذكور دون تلك السن فإن نسبة التزوج بين الذكور ممن هم فوق سن ١٥ سنة ترتفع لتبلغ ٥٨,٤٪. أما نسبة الترمل بين هذه الفئات العمرية (١٥ سنة فما فوق) فتبلغ ١,٦٪، أكثر من ثلثيهم تتجاوز أعمارهم الستين عاماً، وهذا يؤكد ارتفاع نسبة الترمل مع تقدم السن.

وعلى نفس النمط الذي تسير عليه نسبة الترمل فإن نسبة التزوج هي الأخرى ترتفع مع الابتعاد عن فئات السن الصغيرة. ففي حين تقل نسبة المتزوجين بين الذكور دون سن العشرين عاماً عن ١٪، فإنها تقفز إلى ٣٦,٧٪ بين ذكور الفئة العمرية (٢٠ - ٢٤) سنة. كما تقفز مرة أخرى لتصل ٧٧,٤٪ بين ذكور الفئة العمرية (٢٥ - ٢٩) سنة. كما تتراوح نسبة التزوج ما بين ٩١,٣٪ - ٩٥,٤٪ بين الذكور ممن هم في السن (٣٠ - ٦٤) سنة. ويعود منحنى التزوج للهبوط بعد سن ٦٥ عاماً وذلك لارتفاع نسبة الترمل بين فئة كبار السن (٦٥ عاما فما فوق).

ومن الجدير بالذكر أن نسبة المطلقين والأرامل لا تقاس بدقة ظاهرة الطلاق والترمل بين سكان المدينة، خصوصاً بين الذكور، حيث أن الزواج مرة أخرى يعتبر أمراً عادياً حتى بين كبار السن منهم. وهذا الأمر أكثر يسراً بالنسبة للذكور منه للإناث، إذ تقل الفرص للزواج ثانية بالنسبة للإناث إذا تقدم بهن العمر.

أما فيما يتعلق بالتركيب الزواجي بين الإناث فإن نسبة الإناث وان كانت تبدأ في سن مبكرة عنها بالنسبة للذكور، إلا أنها تبدأ في الهبوط في سن مبكرة عن نظرتها بين الذكور. فنسبة التزوج بين الإناث دون العشرين عاماً تبلغ ١٨,٧م مقابل ٠,٩٪ بين الذكور. وهذا بالطبع راجع إلى كون الذكور يتزوجون من فتيات دونهم عمراً. وتستمر نسبة التزوج بين الإناث في الارتفاع مع تقدم العمر إلى أن تصل ذروتها (٨٨,٣٪) في الفئة العمرية ٣٥ - ٣٩ عاماً. يبدأ بعد ذلك منحنى التزوج في الهبوط التدريجي مع تقدم عمر الإناث إلى أن تصل ٢٢,٨٪ بالنسبة لمن تجاوز عمرهن ٦٤ عاماً. كما سبق وأشرنا في حالة الذكور، فإن انخفاض مستوى التزوج هنا أيضاً يعود لارتفاع نسبة (مستوى) الترمل في الفئات

العمـريـة المتقـدمـة في السن. ومستوى الترمل بين الإناث أكبر منه بين الذكور في طولكـرم، كما يبـدأ بين الإنـاث في سن مبكـرة مقـارنـة مع الذكور، إذ أن مستوى الـترمـل قد لوحـظ مرتفعـاً للنسـاء في الفئـة العمـريـة (٣٥ ـ ٣٩) عامـاً، إذ بلغ ٢,٦٪. في حين لم تبلغ نسبـة الـترمـل هذا المستـوى بين الـذكـور حتى في الفئـة العمرية (٦٠ ـ ٦٤) عاماً. ولعل ذلك يعزى كما سبق وأشرنا إلى كون الزواج بعد الـترمـل بالنسبـة للرجـل أيسر منه بكثير إذا ما قورن بالمرأة. وتصل نسبة الترمل ذروتها بين الإناث في الفئة العمرية (٦٥ سنة فما فوق)، إذ تبلغ ٧١,٦٪ في حين تبلغ هذه النسبة في الفئة العمرية المقابلة للذكور ١٢,٧٪. وهذا التفاوت الواضح بين مستـوى الـترمـل بين الذكور والإناث في الفئات العمرية المتقدمة، ربما يعزى بالإضـافـة إلى عامـل آخـر تجب الإشارة إليه من كون فرص الزواج مرة ثانية أمام الرجل أكبر منها بين المرأة ألا وهو كون الرجل يتزوج في العادة إمرأة أصغر منه، مما يرجع وفاة الزوج قبل الزوجة في غالب الأحيان.

التركيب الديني:

لقـد أوضحت الإحصـاءات الأوليـة التي أجريت أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، أن الغالبية العظمى من سكان مدينة طولكرم هم من المسلمين.

ويلاحظ أن نسبة المسلمين ارتفعت من ٩٢,٨٪ عام ١٩٢٢ إلى ٩٩,٢٪ عام ١٩٦١. ولعل ذلك عائد الى تناقص عدد المسيحيين عام ١٩٦١ مما كان عليه عام ١٩٢٢ حيث انخفضت نسبتهم من ٦,٢٪ الى ٠,٨٪ للعـامـين المـذكورين على التوالي، والذي يمكن عزوه إلى مغادرة بعضهم المدينة من ناحية وإلى كون معدلات الخصوبة بين المسيحيين أقل منها بين المسلمين. أما السكان من المذاهب الأخرى فقد انتهى تواجدهم بعد عام ١٩٤٨ والذين لم تبلغ نسبتهم عام ١٩٤٥ سوى ٠,٢٤٪. ولم يشكل اليهود في قمة تواجدهم في طولكرم أكثر من ٠,٧٪ من سكان المدينة وكان ذلك عام ١٩٢٢، تناقصت بعد ذلك إلى ٠,٤٪ عام ١٩٣١ لتنقرض بعد ذلك.

إلا أن تواجد اليهود في لواء طولكرم قد سلك سلوكاً مختلفاً. ففي بداية الانتداب البريطاني على فلسطين كان تواجد اليهود ضعيفاً في لواء طولكرم، حيث بلغ عددهم عام ١٩٢٢ (٢٣) يهودياً من أصل مجموع السكان البالغ (٣٤٩٤) نسمة. هذا علماً بأنه لم يكن لليهود أي تواجد لواء طولكرم أثناء العهد العثماني.

وما أن جاء الانتداب البريطاني على فلسطين حتى بدأ بممارسة سياسته الرامية إلى تعزيز التواجد اليهودي في فلسطين من أجل تنفيذ وعد بلفور، والذي مثل الهدف الرئيسي للانتداب البريطاني على فلسطين. لذا وبدون غرابة أخذ عدد المستوطنين اليهود يتزايد في لواء طولكرم. ففي حين كان التواجد اليهودي في لواء طولكرم ضعيفاً جداً عام ١٩٢٢ حيث لم يشكل اليهود سوى مانسبته ١, ٠٪ من مجموع سكان اللواء، فإن عددهم قد تزايد ليصل (٦٦٦) شخصاً أو ما نسبته ٤, ١٪ من مجموع سكان اللواء عام ١٩٣١. واستمرت اعداد اليهود في التزايد لتصل إلى (١٥٤١٩) نسمة عام ١٩٤٥ أو ما يعادل ٩, ١٧٪ من مجموع سكان القضاء. وقد وافق هذا التواجد اليهودي المكثف في لواء طولكرم، خصوصاً في المنطقة الساحلية إقامة عدد كبير من المستوطنات وذلك قبل إنشاء «إسرائيل» عام ١٩٤٨.

التركيب التعليمي:

يتضح من الجدول (١٩) والذي يوضح عدد ونسبة الأشخاص من سكان مدينة طولكرم الذين كانوا يعانون من الأمية، حسب الجنس والعمر أن الأمية بين السكان الراشدين (١٥ سنة فما فوق) قد بلغت ١, ٥٦٪. ومن الجدير بالذكر أن مستوى الأمية هذا بين السكان الراشدين يختلف حسب العمر والجنس، حيث يكون منخفضاً عند الفئات الشابة ٥, ٢٤٪ في الفئة ٥ ـ ١٩ سنة ويستمر بالإرتفاع إلى أن يصل ذروته ٣, ٨٣٪ في الفئة ٥٠ سنة فما فوق. وهذا أمر طبيعي

لأن فرص تعليم الفئات الشابة كانت أفضل بكثير من نظيرتها في الفئات العمرية المتقدمة .

ومن حيث الجنس يلاحظ أن نسبة الأمية بين النساء قد بلغت ٧٤,٨٪ وهي تقل قليلاً عن ضعف مستواها بين الذكور والتي بلغت بينهم ٣٨٪ . ومما تجدر الإشارة إليه أن التباين في مستوى الأمية بين الذكور والإناث هو الآخر مختلف أيضاً ، ففي حين لم تبلغ نسبة الأمية بين ذكور الفئة العمرية (١٥ - ١٩) سنة ١١٪ فإنها تجاوزت ٤٤٪ بين إناثها . أما في بقية الفئات العمرية فكانت نسبة الأمية بين الإناث مرتفعة إذ وصلت ٩١٪ لمن هم بين (١٥ - ٤٩) سنة ، في حين كانت بين ذكور نفس الفئة دون ٥٠٪ بقليل .

أما فيما يتعلق بالتركيب التعليمي للسكان عام ١٩٦١ ، فتبلغ نسبة من تجاوز الدراسة الابتدائية ١٧,٤٪ ، أما من أكمل تعليمه بعد الثانوي فلم يتجاوز ٠,٨٪ . ومن الملاحظ أن النسبة العظمى ممن دخلوا المدرسة لم يحصلوا سوى على تعليم ابتدائي يتفاوت في مدته بين سنة وست سنوات ، حيث وصلت نسبة هؤلاء السكان ٣٤,٦٪ مع أنها وصلت ٣٧,١٪ بين الذكور فإنها لم تبلغ سوى ٢٤,١٪ بين الإناث .

ومن الجدير بالذكر أن التركيب التعليمي لسكان مدينة طولكرم هو مختلف تماماً حيث أن الأمية إن لم تكن قد انتهت فإنها محدودة جداً . علاوة على ذلك فإن استكمال الدراسة الثانوية أمراً عادياً ، والدراسة الجامعية والمتوسطة تعتبر ظاهرة عامة بين شبان مدينة طولكرم . إلا أنه يتعذر تقديم أية أرقام في هذا المجال لعدم توفر إحصاءات حديثة عن سكان طولكرم ومستوى تحصيلهم العلمي .

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة طولكرم ولوائها

لقد وفرت الظروف الطبيعية المتمثلة بالمناخ المعتدل الجاف صيفاً والماطر الدافىء شتاء، والتربة الخصبة لمدينة طولكرم ولوائها، بيئة للإنسان في هذا الجزء من فلسطين، لممارسة نشاطه الاقتصادي الذي تعتبر الزراعة ومنذ القديم عموده الأساسي. حيث أن الصناعات القائمة في المنطقة مرتبطة بشكل أو بآخر بالإنتاج الزراعي، إذ قد تعتمد عليه في تأمين المادة الخام، أو في تسويق منتوجاتها الصناعية التي تخدم الإنتاج الزراعي أو العاملين فيه.

نتيجة لتوفر بيانات الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في لواء طولكرم كوحدة جغرافية واحدة، وعدم إفراد المتعلق منها بمدينة طولكرم على حدة، فإن هذه الأنشطة ستدرس في هذا الفصل على مستوى اللواء، وعلى مستوى المدينة متى توفرت البيانات المنفصلة الخاصة بها.

الحياة الاقتصادية:

تستند الأنشطة الاقتصادية في أية منطقة على معطيات إمكاناتها الطبيعية، وقدرات ومهارة سكانها في التعامل مع هذه البيئة بالشكل الذي يعود عليهم بأفضل مردود ممكن. وكما لاحظنا في الفصول السابقة فإن الطبيعة قد وفرت لمدينة طولكرم ولوائها بيئة مناسبة من حيث الأمطار والتربة مما جعلها بيئة زراعية خصبة،

وخصوصاً وأن سكان المنطقة متميزين بكفاءتهم وعملهم الدؤوب في الأرض حيث يروى أن سكان دير الغصون مثلاً عملوا على حفر الصخر وملء الحفر بالتراب وزراعتها بالزيتون[1]. وسنقسم الأنشطة الاقتصادية لسكان مدينة طولكرم إلى ثلاث أنشطة هي: النشاط الزراعي، النشاط الصناعي والحرفي، النشاط الخدمي.

١ ـ النشاط الزراعي:

حرفة الزراعة من أهم الحرف التي مارسها الإنسان، وهي كذلك في منطقة طولكرم، التي كان لإنتاجها الزراعي وشهرتها به وخصوصاً الأشجار أثراً بارزاً حتى على تسمية المدينة كما تقدم معنا. وقد ساهم أبناء المنطقة المغتربون في توفير الأموال اللازمة لتطوير الزراعة في المنطقة، بزيادة نسبة استغلال الأرض التي زرع القسم الأعظم منها بالأشجار المثمرة المختلفة كالزيتون والحمضيات واللوز وغيرها. ومدينة طولكرم نفسها علاوة على أنها قامت أساساً على الزراعة فإنها نمت وتطوّرت بفضل القرى المجاورة لها، والتي تعتبر الزراعة نشاطها الرئيسي إن لم يكن الوحيد. وتعتبر المدينة نفسها مركزاً لتقديم الخدمات للسكان الزراعيين سواء ما تعلق منها بالتسويق أم التزويد، بالإضافة إلى الخدمات الإدارية والتعليمية والصحية الأخرى. والزراعة هي الحرفة الرئيسة لسكان المدينة ومنطقتها، فكما لاحظنا في الفصل الثالث من هذه الدراسة فقد بلغت نسبة العاملين في القطاع الزراعي ما نسبته ٢٠٪ من مجموع القوى العاملة، وهي أعلى نسبة سجلها قطاع اقتصادي في المدينة.

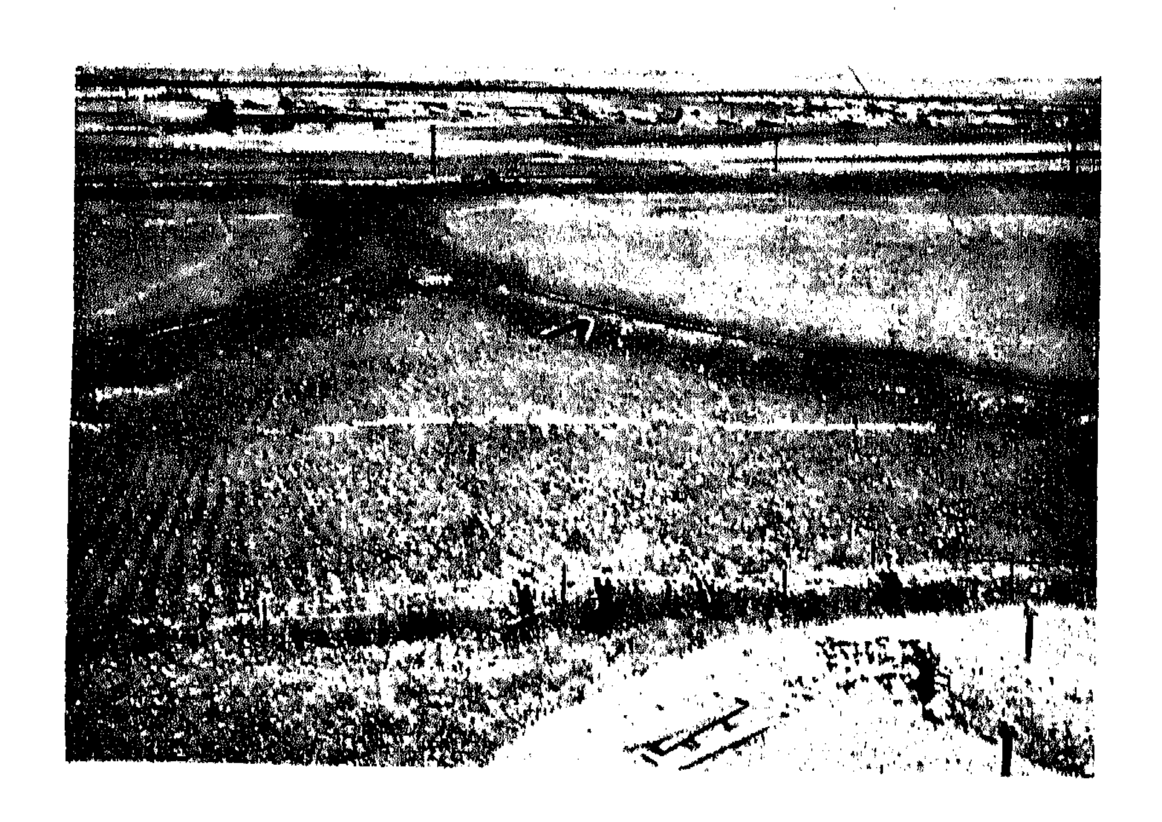
أما اليوم فتبلغ نسبة العاملين في الزراعة في لواء طولكرم ٣٦,٨٪ من مجموع القوى العاملة، وارتفاع هذه النسبة يعود لاعتماد أهل القرى شبه الكلي على الزراعة. في حين تنافس الزراعة في المدينة نشاطات اقتصادية أخرى تكون في الأصل ضعيفة التواجد في المدينة كالأنشطة الحرفية والأنشطة الخدمية.

---

١ ـ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢، ص ٢٣٨.

الملكية الزراعية[٢]:

بلغت مساحة قضاء طولكرم عام ١٩٤٥ (٨٣٥,٣٦١ كم٢)، شغلت منها الأودية والطرق وخطوط السكك الحديدية ١٦ كم٢. وقد تسرب منها إلى أيدي الصهاينة (١٤١,٣ كم٢) أو مايعادل ١٦,٩٪ من مساحة القضاء. وبعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ لم يبق لسكان القضاء سوى ٣٣٣ كم٢، حيث اغتصب الصهاينة أراضي قضاء طولكرم في منطقة السهل الساحلي والتي بلغت ٥٠٢,٣٦١ كم٢ أو مايعادل ٦٠,١٪ من مساحة القضاء (شكل ٧). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الاحتلال قد مكن اليهود من الاستيلاء على أرض تعادل حوالي ثلاثة أضعاف ما تمكنوا من امتلاكه من أراضي القضاء قبل عام



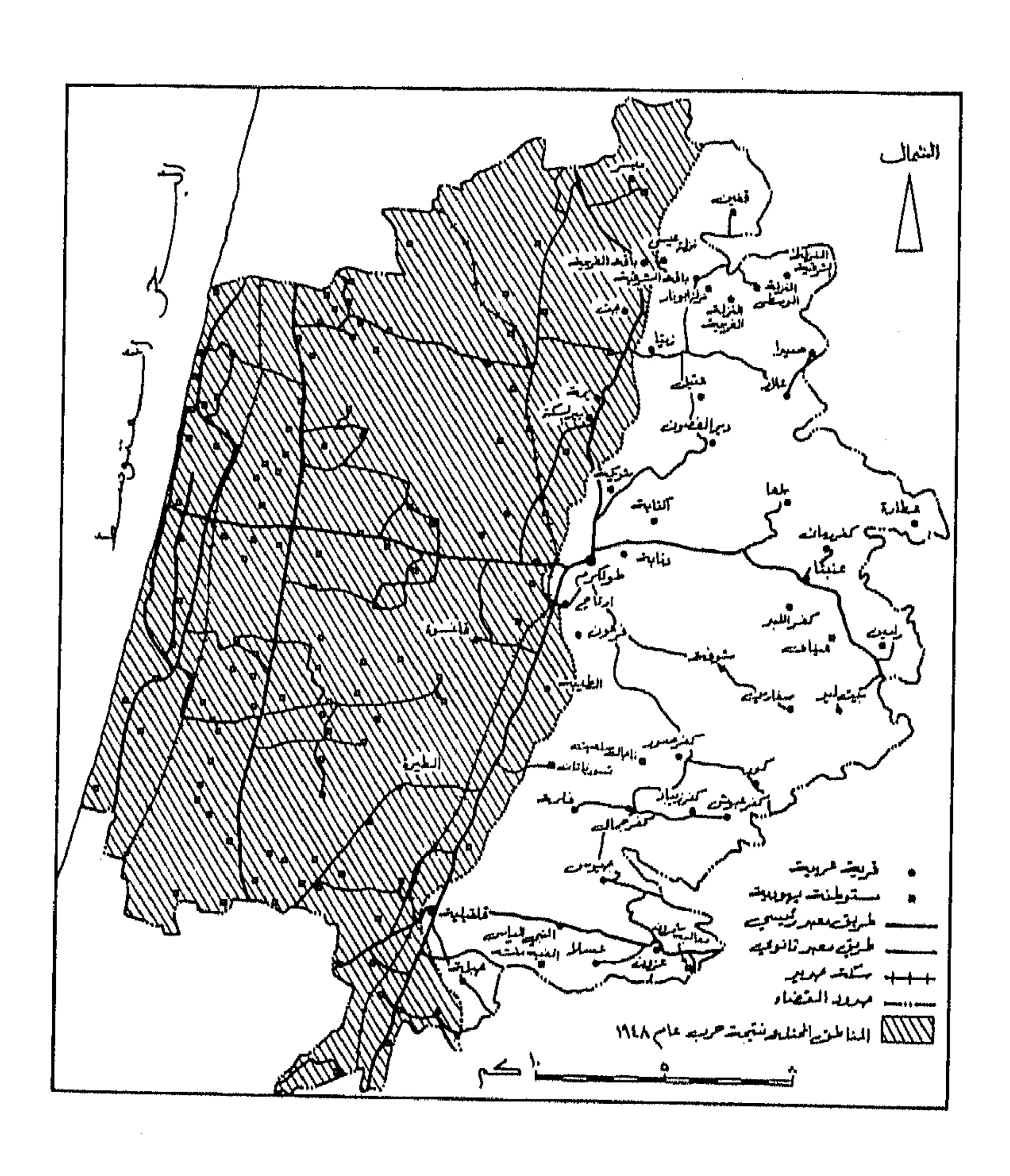
٢ ـ المصدر السابق.

ـ بحيري، صلاح الدين، أرض فلسطين والاردن، ١٩٧٤، عمان.

١٩٤٨ . ومن الجدير بالذكر أن نسبة ١٦,٩٪ من أراضي القضاء التي حصلوا عليها قبل عام ١٩٤٨ تعود في الغالب إما إلى أسر افطاعية غير فلسطينية ، أو أنها كانت أراضي حكومة منحتها السلطات البريطانية للوكالة اليهودية ، باستثناء النزر اليسير منه الذي اضطر صغار الفلاحين للتخلي عنه تحت الضغوطات المختلفة التي مورست ضدهم

أما مساحة مدينة طولكرم فقد بلغت في الأول من نيسان عام ١٩٤٥ (١٦٧٢) دونماً ، شغلت منها طرق المواصلات والأودية (٩٢) دونماً أوما يعادل (٥,٥٪) . وفي عام ١٩٨٥ بلغت المساحة الكلية للمدينة (٧٠٠٠) دونم شغلت منها الأبنية والشوارع ما مجموعه (٢٨٠٠) دونماً أو مايعادل (٤٠٪) من أراضيها . وبالتالي تكون مساحة الأراضي الزراعية في المدينة (٤٢٠٠) دونماً ، استغل منها في ذلك العام ما نسبته ٩٨,١٪ (٤١٤٦) دونماً ، غير أن ضم قرى ش ويكة وذنابة وارتاح قد أضاف إلى أراضي المدينة الزراعية ما مساحته (١٢٥٧٤) وبالتالي أصبحت مساحة الأراضي الزراعية في المدينة (١٦٧٧٤) دونماً .

لايمكن فصل نظام ملكية وحيازة الأراضي الزراعية في مدينة طولكرم ولوائها عن نظام ملكية وحيازة الأرض الزراعية في بقية أجزاء فلسطين ، التي تأثرت كغيرها من البلدان العربية بنتائج الحكم العثماني للمنطقة . فقد ساد في البداية نظام المشاع حيث كان المزارعون يملكون عدداً معيناً من حصص الأرض ، دون أن يعني هذا ربط الفلاح بقطعة أرض معينة ، حيث كان بإمكانه فلاحة قطع زراعية مختلفة عن بعضها البعض كل عام . ولم يتم ربط ملكية كل قطعة من الأرض بشخص معين إلا في فترة الانتداب البريطاني حيث تم فرز الأراضي وتحديد صاحب كل قطعة منها . وقد ساهم نظام المشاع السابق في تسرب جزء من أراضي المنطقة إلى أيدي اليهود الذين كانوا يشترون حصصاً من الأراضي دون معرفتهم بمساحة الحصة الواحدة ، وبالتالي عملوا على نهب الأراضي عند فرزها من أجل تسجيلها رسمياً في دائرة الأراضي ، مستغلين بذلك عدم وعي الفلاح الفلسطيني وتواطؤ سلطات الانتداب البريطاني معهم .



شكل ـ ٧ ـ المناطق المحتلة من قضاء طولكرم نتيجة حرب عام ١٩٤٨

وعندما ألغي نظام المشاع ليحل محل نظام التملك الفردي، جزئت أراضي المدينة إلى عدة قطاعات (أحواض)، ثم قسم كل حوض إلى قطع زراعية، نجم عن ذلك حصول الفلاح الواحد على أكثر من قطعة في أكثر من حوض، وقلما وجد فلاح يملك قطعة واحدة. وقد عمل نظام تفتت الملكية هذا على ضعف فعالية استغلال هذه الأراضي لما ينجم عن ذلك من إضاعة بعض وقت الفلاح في التنقل من قطعة لأخرى ناهيك عن الهوامش الزراعية التي تتزايد مع تفتت الملكية وتقل كلما كانت هذه القطع المتعددة الصغيرة قطعة واحدة.

ومع تعذر وجود بيانات تفصيلية للملكية الزراعية في مدينة طولكرم ولوائها، فإنه لمن المؤكد خلو المدينة ومنطقتها من كبار رجال الإقطاع، إذ لم تشر أي من المصادر التاريخية التي تناولت ملكية الأراضي في فلسطين إلى وجودهم. وبالتالي فإن الملكية الفردية الصغيرة هي السائدة في المنطقة، وأغلب الأسر تملك قطعاً زراعية تتراوح مساحتها بين ٣٠ ـ ٤٠ دونماً، وينظر إلى ملكية مائة دونم على أنها ملكية كبيرة نسبياً.



استعمالات الأرض الزراعية في لواء طولكرم:

نتيجة لتغير مساحة وحدود لواء طولكرم عدة مرات كما سبق وأشرنا، حيث انكمشت مساحة اللواء إثر حرب ١٩٤٨ قبل أن تتسع مرة أخرى بعد حرب ١٩٦٧، فإنه يتعذر إجراء أية مقارنة بين المساحات المزروعة قبل عام ١٩٤٨ والمزروعة في الوقت الحاضر. لذا سيكتفي هنا بمناقشة توزع المساحات الزراعية على المحاصيل الرئيسية المختلفة من عام ١٩٨٠ - ١٩٨٤ والتي يوضحها الجدول رقم (١١).

جدول - ١١ - استعمالات الأراضي الزراعية في لواء طولكرم
١٩٨٠ - ١٩٨٤

السنة	المحاصيل الحقلية		الخضــروات		الاشجار المثمرة	
	دونم	٪	دونم	٪	دونم	٪
١٩٨٠	٦٥٤٩٦	١٩,١	١٩٢١٣	٥,٦	٢٥٨٠٥٤	٥٧,٣
١٩٨١	٦١٩٨٦	١٨,٠	١٩٠٥٢	٥,٥	٢٦٣٠٢٣	٧٦,٤
١٩٨٢	٥٦١٢٩	١٦,٣	٢٢٢٥١	٦,٤	٢٦٦٩٠٠	٧٧,٣
١٩٨٣	٦١٨٨٢	١٧,٥	٢٢٨٢٠	٦,٤	٢٦٩٥٨٠	٧٦,١
١٩٨٤	٥٧١٣١	١٦,٦	١٨٩٣٧	٥,٥	٢٦٨٣٧٩	٧٧,٩
المتوسط	٦٠٥١٥	١٧,٧	١٦٦٤٨	٤,٩	٢٦٥١٨٧	٧٧,٤

المصدر: مركز التنمية الريفية، جامعة النجاح، النشرات الاحصائية السنوية رقم ١ - ٥.

يتضح من الجدول رقم (١١) أن المساحة الزراعية في لواء طولكرم والتي تبلغ حوالي (٣٤٢٣٥٠) دونماً تتقاسمها المحاصيل الرئيسة الثلاث بشكل غير متساوٍ، حيث تشغل الأشجار المثمرة بأنواعها المختلفة من حمضيات وتفاحيات وكرمة وزيتون مايزيد على ثلاثة أرباع المساحة الزراعية (٧٧,٤٪). وربما يعزى التوسع الواضح في زراعة الأشجار المثمرة، إلى وعورة المنطقة مما يجعلها أكثر صلاحية لزراعة الأشجار منها لزراعة الخضراوات أو المحاضيل الحقلية. أضف إلى ذلك العوامل التاريخية والحضارية، والتي أكدت اشتهار المنطقة بزراعة الكرمة والزيتون مما جعلها تؤثر حتى في تسمية المدينة التي اشتقت منها.

كما يوضّح الجدول ايضاً استمرار توسع زراعة الأشجار المثمرة، وربما يعزى ذلك بالإضافة إلى العوامل سابقة الذكر، إلى رغبة السكان في حمايتها من سلطات الاحتلال، التي لاتتورع عن تسيج الأراضي ومن ثم مصادرتها لإقامة المستوطنات اليهودية عليها، خصوصاً إذا كانت تلك الأراضي غير مستغلة. ويعتبر الزيتون المحصول الأول من حيث المساحة التي يشغلها والتي بلغت ٢٢١٩٠٠ دونم، أوما يعادل ٨٢,٧٪ من مساحة الأشجار المثمرة عام ١٩٨٤. بالتالي فإن منطقة لواء طولكرم تشمل على ٣١,٧٪ من مجموع أراضي الزيتون في الضفة الغربية. أما المحصول الرئيسي الثاني ضمن الأشجار المثمرة كما يوضحه الملحق (٢) فهو محصول اللوز، والذي تتجاوز مساحة أرضه (٢٠٠٠٠) دونم أو حوالي ٧,٨٪ من مساحة الأشجار المثمرة في المنطقة. والمحصول الرئيسي الثالث هو الحمضيات التي تبلغ مساحتها حوالي (١٧٠٠٠) دونم أو مايعادل ٦,٣٪ من مساحة الأشجار المثمرة في المنطقة.

أما المحاصيل الحقلية، فتحتل في المتوسط ما يزيد على (٦٠٠٠٠) دونم أو ما يعادل ١٧,٧٪ من مجموع المساحات الزراعية. يتقاسم هذه المساحة ما يزيد على ١٤ محصولاً حقلياً، تشكل الحنطة المحصول الرئيسي فيها، حيث تراوحت مساحته ما بين (٣٦٣٥٥) دونماً عام ١٩٨٠، و(٢٩٩٠٠) دونماً عام ١٩٨٤ أوما يعادل ٥٥,٥٪ من جملة أراضي المحاصيل الحقلية عام ١٩٨٠، و٥٢,٣٪ عام

١٩٨٤ . وتعتبر الحنطة غذاء أساسياً ليس في منطقة طولكرم فحسب، بل في بقية أنحاء فلسطين. أما الشعير فقد كان المحصول الثاني في الأهمية بعد القمح حيث تراوحت مساحته ما بين (١٦٢٦٦) دونماً عام ١٩٨٠ ، و(١٤٣٣٠) دونماً عام ١٩٨٤ مما جعله يشغل مانسبته ٢٤,٩٪ من عملية مساحة المحاصيل الحقلية عام ١٩٨٠ ، ويزرع الشعير عادة في المناطق ذات الأمطار المتدنية نسبياً كالأراضي الهامشية. أما الفول والكرسنة والبيقية فهي الأخرى محاصيل ذات أهمية بالغة في المنطقة كما هو موضح في الملحق (٣).

وتزرع في منطقة طولكرم معظم الخضروات المعروفة في فلسطين، إلا أنها تتفاوت في مساحتها مما يعكس أهميتها تبعاً للطلب عليها، حيث شكلت البطاطا والبندورة والخيار أهم محاصيل فيها، إذ شغلت مجتمعة مانسبته ٤٧,٥٪ من جملة محاصيل الخضروات. وكما يوضح الملحق (٤) تأتي بعدها في الأهمية الكوسا، الباذنجان، الباميا، القرنبيط والفاصوليا.

استعمالات الأرض الزراعية في المدينة:

تبلغ المساحة الكلية لمدينة طولكرم باستثناء الضواحي التي ضمت مؤخراً إليها وهي شويكة، ذنابة وارتاح (٧٠٠٠) دونماً، تشكل الأراضي الزراعية المستغلة منها (٤١٤٦) دونماً أو ما يعادل ٥٩,٢٪، في حين أن هناك ٥٤ دونماً غير مستغل. أما الأبنية والشوارع فتشغل ما نسبته ٤٠٪ من مجموع (٢٨٠٠) دونماً.

أما استخدام الأرض الزراعية في مدينة طولكرم فقد توزع على المجموعات الثلاث الرئيسة من أشكال استغلال الأرض للانتاج النباتي والجدولين (١٢ ، ١٣) يوضحان النمط المحصولي للأراضي الزراعية في مدينة طولكرم.

حيث يتضح من الجدول (١٢) أن الأشجار المثمرة قد شغلت (٢٤٠٧) دونمات عام ١٩٨٥ أو ما يعادل ٥٨٪ من الأراضي الزراعية في المدينة. ويمكن أن نلاحظ هنا تشابها في النمط المحصولي بين المدينة ولوائها، حيث شغلت الحمضيات والزيتون

جدول ـ ١٢ ـ مساحة الأشجار المثمرة والمحاصيل الحقلية بالدونم في مدينة طولكرم ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥*

الأشجار المثمرة	١٩٨٤	١٩٨٥	المحاصيل الحقلية	١٩٨٤	١٩٨٥
الزيتون	٨٨٤	٩٨٩	قمح	٧٠٠	٧٥٠
لوز	١٠	١٠	شعير	٨٠	٧٠
حمضيات (مجموع)	١٢٦٣	١٢٤٠	كرسنة	١٠	١٢
شموطي	٣٧٣	٣٥٢	عدس	..	٥
فلنسيا	٢٩٣	٢٨١	عصفر	٥	٤
ليمون	٢٠٥	١٩٩	زعتر	-	٢٦
كلمنتينا	٣٣٠	٣٣٤	عباد الشمس	٥	٣
مندلينا	٦٢	٦٤	فستق	٢٥	٧٠
أشجار أخرى	١١٥	١٦٨	سمسم	٤٠	٣٠
			ذرة	٣٨	٢٦
			بيقية	١٥	١٨
			حمص	٤	-
المجموع	٢٢٧٢	٢٤٠٧	المجموع	٩٢٢	١٠١٤

المصدر:

سجلات مكتب الزراعة ـ طولكرم.

جدول ـ ١٣ ـ الخضروات الصيفية والشتوية وحسب حالة الري في مدينة طولكرم ١٩٨٥*

المحصول	ري	بعل	تحت البلاستيك	المجموع
بطيخ	-	١٥	-	١٥
شمام	-	١٤	-	١٤
بندورة	٢٠	-	١٠	٢٠
خيار	١٠	-	١٢	٢٢
باذنجان	١٠	-	١٥	٢٥
كوسا	١٧	٢	٣٥	٥٤
بصل يابس	١٥	٢٧	-	٤٢
بصل أخضر	-	١٠	-	١٠
ثوم	-	١٥	-	١٥
باميا	-	٤٥	-	٤٥
ملفوف	٥	-	-	٥
قرنبيط	٥٠	٥	-	٥٥
لوبيا	-	٣	-	٣
فول أخضر	-	٢٥	-	٢٥
فلفل حار	٨	-	٥	١٣
فجل	٥	١٢	-	١٧
بقدونس	٧	١٢	-	١٩
فاصوليا خضراء	٢٥	-	٥	٣٠
ملوخية	٦٥	-	٢	٦٧
سبانخ	-	٤٥	-	٤٥
المجموع	٢٣٧	٤٠٤	٨٤	٧٢٥

المصدر: سجلات مكتب الزراعة ـ طولكرم.

* الارقام لا تشمل ضواحي مدينة طولكرم (ارتاح، ذنابة، وشويكة).

(٢٢٢٩) دونماً أو مايعادل ٩٢,٨٪ من مجموع الأراضي المخصصة للاشجار المثمرة .

أما المحاصيل الحقلية فاحتلت ما مساحته (١٠١٤) دونما أوما يعادل ٢٤,٥٪ من مجموع الأراضي الزراعية المستغلة في مدينة طولكرم عام ١٩٨٥ . وقد اشتملت المحاصيل الحقلية على ما يزيد عن عشرة محاصيل أهمها القمح حيث شغل ما مساحته ٧٥٠ دونماً أوما يعادل ٧٤٪ من مجموع مساحة أراضي المحاصيل الحقلية . وفي هذا ينطبق نمط المحاصيل الحقلية في مدينة طولكرم مع نظيره في لواء طولكرم ككل . أما المحصول الثاني بين المحاصيل الحقلية فقد احتله بالتساوي كل من الشعير والفستق حيث كان نصيب كل واحد منها ٦,٩٪ من مجموع الأراضي المخصصة للمحاصيل الحقلية .

يوضح الجدول (١٣) مساحة الأراضي حسب نوع محصول الخضار فيها من ناحية ، ومن ناحية أخرى يوضح فيما إذا كان المحصول مروياً أوبعلياً أم فيما إذا كان مزروعاً تحت الأغطية البلاستيكية أم في الهواء الطلق . وكما يشير الجدول يزرع في أراضي مدينة طولكرم عدداً وفيراً من الخضروات قد يصل إلى ٢٠ محصولاً بلغت مساحتها مجتمعة عام ١٩٨٥ (٧٢٥) دونماً أوما يعادل ١٧,٥٪ من جملة أراضي المدينة الزراعية والمستغلة . وبالطبع وكما لاحظنا بالنسبة للمحاصيل الحقلية والأشجار المثمرة ، فإن الخضروات هي الأخرى متفاوتة من المساحة التي تشغلها ، والتي تعكس أهميتها ومقدار الطلب عليها ، والذي هو انعكاس للنمط الغذائي لسكان المنطقة . أشهر محاصيل الخضار في مدينة طولكرم هو محصول البطاطا والتي تزرع بعلاً (بدون ري) حيث احتلت عام ١٩٨٥ (١٧٤) دونماً أوما نسبته ٢٤٪ من مجموع مساحة أراضي الخضراوات . تليها في الأهمية كل من الملوخية ٩,٢٪ والقرنبيط ٧,٦٪ والكوسا ٧,٤٪ .

الإنتاج الزراعي وأساليبه :

اشتهرت مدينة طولكرم والقرى التابعة لها منذ القدم بإنتاج المحاصيل الزراعية المختلفة ، كالأشجار المثمرة بأنواعها ، والتي أسهمت في تسمية مدينة

طولكرم . كما اشتهرت المنطقة بزراعة المحاصيل الحقلية خصوصاً القمح . واشتهرت مدينة طولكرم ولواؤ ها بانتاج كميات كبيرة من الخضروات المتنوعة التي تفوق حاجة سكانها .

جدول ـ ١٤ ـ إنتاج المحاصيل الزراعية النباتية في لواء طولكرم (بالطن) ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤

السنة	المحاصيل الحقلية	الأشجار المثمرة	محاصيل الخضروات
١٩٨٠	١٠٦٠٩,٠	٨٨٠٤٨,٠	٣٦٦١٨,٠
١٩٨١	٩٠٧٧,٦	٧٥٤١٩,٦	٣٦٣٧٣,٤
١٩٨٢	٢٧١٩,١	٩٩٥٦٤,١	٢٢٢٥١,٠
١٩٨٣	١٧٥٥٦,٦	٨٤٠١٧,٢	٣٧١٥٥,٢
١٩٨٤	١٤٠٩٧,٩	٩٥٥٤٥,٢	٣٢١٣٥,٢
المعدل السنوي ١٠٨١٢		٨٨٥١٩	٣٢٩٠٦

المصدر:

النشرات الاحصائية السنوية ، مركز الدراسات الريفية ، جامعة النجاح ، نابلس .

يتضح من الجدول (١٤) أن الأشجار المثمرة تعتبر العمود الفقري للإنتاج النباتي ، إذ بلغ متوسط إنتاجها السنوي خلال النصف الأول من العقد الحالي ٨٨٥١٩ طناً . جاء الجزء الأعظم من إنتاج الأشجار المثمرة عام ١٩٨٤ من محصول الحمضيات بأنواعها المختلفة ، والتي بلغ إنتاجها (٦٣٣٤١) طناً أو

مايعادل ٦٦,٣٪ من مجموع إنتاج الأشجار المثمرة. واحتل المرتبة الثانية في الأهمية من حيث كمية الإنتاج بين الأشجار المثمرة انتاج الزيتون والذي بلغ في العام نفسه (٢٤٤٠٩) أطنان أوما نسبته ٢٥,٥٪ من مجموع إنتاج الأشجار المثمرة. وإذا ما جزئت الحمضيات إلى أنواعها المختلفة يصبح إنتاج محصول الزيتون في المرتبة الأولى بين الأشجار المثمرة.

أما بقية محاصيل الأشجار المثمرة فلم يتجاوز إنتاج أهمها وهو محصول الجوافة (١٨٦٩) طناً، وإنتاج العنب ١٢٣٣ طناً وإنتاج التين (١١٩٤) طناً، أوما يعادل ٢٪، ٣,١٪، ٢,١٪ من مجموع إنتاج الأشجار المثمرة لكل من المحاصيل الثلاث على التوالي (ملحق ٦).

وتأتي محاصيل الخضروات في المرتبة الثانية بعد الأشجار المثمرة من حيث كميات الإنتاج، حيث بلغ متوسط إنتاجها السنوي في الفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ (٣٢٩٠٦) طناً، أوما يعادل ٢٤,٩٪ من جملة الانتاج الزراعي النباتي. وكان إنتاج البندورة عام ١٩٨٤ هو المسيطر على بقية إنتاج المحاصيل الأخرى إذ بلغ (٧٤٩٤) طناً، أوما يعادل ٢٣,٣٪ من جملة إنتاج محاصيل الخصروات. أما إنتاج محاصيل البطاطا فكان الثاني في الأهمية، إذ أسهم بـ (٥٢٧٥) طناً أوما نسبته ١٦,٤٪ من مجموع انتاج محاصيل الخضراوات، في حين أسهم إنتاج محصول الخيار بـ ١٤,٥٪ (٤٦٦٥) طناً، والباذنجان بمعدل ١٣,٨٪ من مجموع محاصيل الخضروات إذ بلغ إنتاجه (٤٤٤٠) طناً عام ١٩٨٤.

أما بقية إنتاج محاصيل الخضروات فقد ساهمت به مجموعة متنوعة من محاصيل الخضروات يمكن التعرف إليها في ملحق (٦) في نهاية الكتاب.

وفي المرتبة الثالثة للإنتاج الزراعي النباتي كانت المحاصيل الحقلية التي بلغ متوسط إنتاجها السنوي خلال الفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ (١٠٨١٢) طناً، أوما يعادل ٨٪ فقط من الإنتاج الزراعي النباتي الكلي. ومن الجدير بالذكر أن المحاصيل الحقلية احتلت خلال فترة الدراسة ما نسبته ١٧,٧٪ من مجموع الأراضي الزراعية (جدول ١٤). يتضح من ذلك تدني مستوى إنتاجية المحاصيل

الحقليـة بالمقـارنـة مع الخضـروات والأشجـار المثمـرة، حيث لم تحتل الأولى سوى ٩, ٤٪ من مساحة الأراضي الزراعية مع أنها أسهمت بها نسبته ٤, ٢٦٪ من وزن المحاصيل الزراعية. واحتلت الثانية ٤, ٧٧٪ من المساحات المزروعة وأسهمت بـ ٦, ٥٦٪ من وزن المحـاصيـل الـزراعيـة المنتجـة. ويعـزى تدني إنتـاجية الأرض المزروعة بالمحاصيل الحقلية عن نظيرتها المزروعة بمحاصيل الخضراوات إلى كون أراضي المحـاصيـل الحقليـة غالباً هامشية، كما أنها تزرع بعلاً، وبالتالي لا تستغل سوى مرة واحدة في العام على الأكثر.

وتعتبر الحنطة العمود الفقري لإنتاج المحاصيل الحقلية في منطقة طولكرم، إذ بلغ إنتـاجهـا عام ١٩٨٤ (٨٩٧٠) طنـاً أوما يعـادل ٦, ٦٣٪ من جملة إنتـاج المحاصيل الحقلية. ولعل السبب في ذلك يعود لكون الحنطة غذاء أساسياً ليس في منطقـة طولكـرم فحسب وإنـما في بقية أرجاء فلسطين. أما إنتاج الشعير فشكل ما نسبته ٤, ٢٥٪ من إنتاج المحاصيل الحقلية وفي الغالب يزرع الشعير في الأراضي الهـامشيـة ويستخـدم كعلف للحيوانات. أما بقية إنتاج المحاصيل الحقلية والذي بلغت نسبتـه ١١٪ فقـد أسهم به ما يزيـد على ثلاثـة عشر محصولاً حقلياً. كما هو موضح في ملحق (٧).

حيث يتضح من الجدول (١٥) أن طاقة الآبار على الضخ تتراوح ما بين ٤٢ - ٩٠ متراً مكعبـاً في السـاعـة وأن عددهـا عشـرة آبـار. أما إذا ما أضيفت إليها آبار الضواحي (شويكة وذنابة وارتاح) فيبلغ عدد هذه الآبار (٢٣) بئراً.

ومن الجدير بالذكر أن سلطات الاحتلال قد حظرت على المواطنين العرب حفـر أيـة آبـار جديـدة منـذ عام ١٩٦٧. علاوة على ذلـك فإنها قيدتهم بمستوى الضـخ الـذي كان سائـداً عام ١٩٦٧، دون الأخـذ بعـين الاعتبـار تزايـد أعداد السكان العرب وزيادة متطلباتهم من المياه والأغذية المعتمدة عليها.

ويـمارس في منطقـة طولكرم ثلاثة أنماط من الري، أقدمها وأكثرها انتشاراً الري السطحي بأشكاله المختلفة، والتقليدية والحديثة. وكذلك الري بالتنقيط والري بالرشاشات.

جدول ـ ١٥ ـ الآبار الجوفية في مدينة طولكرم ١٩٨٣*

اسم صاحب البئر	موقع البئر	كمية الضخ م^{3}/ساعة	المساحة المروية من البئر		
			المجموع	حمضيات	خضروات
عبد الله شريم	طولكرم	٤٢	٩٥	٩٠	٥
عبد الكريم الحاج قاسم	طولكرم	٥٤	١٩٠	١٨٠	١٠
راسم كمال	طولكرم	٦٠	١١٥	١٠٠	١٥
خالد حنون	طولكرم	٧٢	١٢٥	١١٥	١٠
رشيد ذياب	طولكرم	٦٠	١١٠	٨٠	٣٠
عبد الرحيم أبو بكر	طولكرم	٦٠	١٤٠	١٢٠	٢٠
عمر الكرمي	طولكرم	٩٠	١٦٠	١٤٠	٢٠
مصطفى سعيد أبو بكر	طولكرم	٥٤	١٨٥	١٦٥	٢٠
عبد القادر قزمار	طولكرم	٦٩	٣٢٠	١١٥	٢٠٥
شاكر سمارة	طولكرم	٩٠	٢٣٥	١٤٥	٩٠
عقاب فريج وشركاه	شويكة	٩٠	٢٨٠	٢٠٠	٨٠
علي أبو صالح	شويكة	٧٨	٢٢٥	١٥٠	٧٥
عبد الرحمن أبو صالح	شويكة	٨٤	٢٦٥	١٦٥	١٠٠
عبد الرحيم مرعي	شويكة	١١١	٣٨٠	١٧٥	١٠٥
صالح حمدان	شويكة	٦٩	٢٨٠	١٧٥	١٠٥
زبيدة السعيد	ذنابة	٤٥	١٣٠	١٠٠	٣٠
أسعد وشركاه	ذنابة	٩٠	١٤٠	٨٠	٦٠
محمد سفاريني	ذنابة	٨٠	١٤٠	٨٠	٦٠
أحمد أبو شنب	ارتاح	٦٠	٢١٨	١٧٨	٤٠
حسن محمد عيسى	ارتاح	٤٨	١٩٥	١٨٠	١٥
أحمد أبو شنب	ارتاح	٦٠	١٨٠	١٣٥	٤٥

* تقع الآبار العشرة الأولى ضمن حدود بلدية طولكرم قبل انضمام شويكة وذنابة وارتاح إليها.

الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية الشق الثاني من العمل الزراعي ، إذ جرت العادة من القدم أن يربي الفلاحون الحيوانات التي قد تستخدم في العمل في الزراعة ، أو التي تمد المزارع بمنتوجاتها من الألبان واللحوم وفي حالات أخرى قد يربي المزارع الحيوانات من أجل التجارة بها وبمنتوجاتها . علاوة على ذلك تمد الثروة الحيوانية المزارع بالسماد اللازم للحفاظ على خصوبة التربة ، كما أنها تستهلك جزءاً من منتوجاته الزراعية خصوصاً المنتوجات العلفية كالبرسيم والبيقية والشعير والكرسنة التي تزرع خصيصاً لتأمين الغذاء للثروة الحيوانية .

تربى في منطقة طولكرم أنواع مختلفة من الحيوانات كالضأن والماعز والأبقار بأنواعها المختلفة ، وكذلك تربى الدواجن بنوعيها اللاحم والبياض . والجدول رقم (١٦) يوضح اعداد الأغنام خلال عدة سنوات ، ويظهر فيه أن أعداد الضأن والماعز

جدول ـ ١٦ ـ أعداد الأغنام في لواء طولكرم
١٩٧٣ ـ ١٩٨٢

السنة	الضأن (الأغنام)	الماعز	المجموع
١٩٨٠	١٦٤٤٩	١٠٥١٣	٢٧٩٦٢
١٩٨١	١٧٦٧٥	١٢٠٤٧	٢٩٧٢٢
١٩٨٢	١٩٠٠٤	١١٧٥٤	٣٠٧٥٨
١٩٨٣	٢١١٢٨	١٥٠٢١	٣٦١٤٩

المصدر:

جمال محمد أبو عمر بهاء الدين أبو بكر، تربية الأغنام في الضفة الغربية وقطاع غزة، ١٩٨٣ .

مركز الدراسات الريفية ، جامعة النجاح ـ النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، الأعداد ١ ـ ٥ .

في تزايد مستمر، وإن كان هناك تذبذباً سنوياً في أعدادها، وربما يعزى هذا التذبذب إلى عدم الدقة في البيانات المتعلقة بأعدادها.

وفي عام ١٩٨٤ بلغ عدد الضأن في منطقة طولكرم مايزيد على (٢٣) ألف رأس أوما يعادل ٨,٥٪ من مجموع أعداد الضأن في الضفة الغربية. كما استحوذت طولكرم في العام نفسه على ٩,٣٪ من ماعز الضفة و١٧,٣٪ من أبقارها. جدول (١٧).

ومما تجدر الاشارة إليه أن هذه الثروة الحيوانية تعود في معظمها إلى قرى المنطقة، إذ لايسمح بتربيتها ضمن الحدود البلدية للمدن. ومما يؤكد ذلك أنه تبين وجود عشرة مزارعين يربون الأغنام المهجنة والمحسنة منتشرين في عشرٍ من قرى المنطقة.

جدول ـ ١٧ ـ أعداد الأبقار في لواء طولكرم

السنة	الأبقار	العجول	المجموع
١٩٨٠	٢٣٣٠	١٣٦٤	٣٦٩٤
١٩٨١	١٥٦٢	٥٣١	٢٣٩٣
١٩٨٢	١٨٧٥	٣٩٦	٢٢٧١
١٩٨٣	١٥٦٨	٥٤٦	٢١١٤
١٩٨٤	١٦٣٢	١١٦٧	٢٧٩٩

المصدر:

مركز التنمية الريفية، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، الأعداد ١ ـ ٥، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

وتعتبر الدواجن الشق الثاني من الإنتاج الحيواني. وتوجد في منطقة طولكرم مزارع الدواجن بنوعيها اللاحم والبياض. وكما يوضح الجدول (١٨) فإن لواء

جدول ـ ١٨ ـ عدد مزارع الدجاج اللاحم وطاقتها الإنتاجية في لواء طولكرم ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤

السنة	عدد المزارع	نسبتها من الضفة ٪	الطاقة الانتاجية السنوية للحم الحي: طن	الطاقة الانتاجية السنوية للحم الحي: نسبته من إنتاج الضفة ٪
١٩٨٠	٧٥	١١,٢	١٣٢٥,٠	٢٨,٧
١٩٨١	٨٢	١٢,٦	١٦٠٤,٨	٢٧,٩
١٩٨٢	٨٣	١٢,٥	١٧٠٠,٠	٢١,٣
١٩٨٣	١١٤	١٨,٣	١٣٦٩,٩	٣٢,٢
١٩٨٤	١٢١	١٨,٨	٢٥٣٨,٠	٣١,٩

المصدر:

مركز الدراسات الريفية، جامعة النجاح، النشرة الإحصائية السنوية، العدد ١، ٢، ٤، ٥

م. ت. ف، المكتب المركزي للإحصاء، النشرة الإحصائية، النشرة الإحصائية الزراعية للضفة الغربية وقطاع غزة، العدد الرابع.

طولكرم قد اشتمل عام ١٩٨٠ على ٥٧ مزرعة دواجن لاحم بطاقة إنتاجية قدرها (١٣٢٥) طناً في السنة. وبالتالي يكون اللواء ساهم بها نسبته ٢٨,٧٪ من الطاقة الانتاجية لهذه المزارع في الضفة، واحتوى على ١١,٢٪ من مزارع الدواجن اللاحم في الضفة الغربية في ذلك العام. وفي عام ١٩٨٤ ارتفع عدد هذه المزارع إلى ١٢١ مزرعة، أي بزيادة كلية مقدارها ١١٢,٣٪ أو زيادة سنوية مقدارها ٢٨٪. وقد أدى ذلك أيضاً إلى تزايد نصيب اللواء من إنتاج هذه المزارع بالنسبة للضفة الغربية ككل، حيث أصبح ٣٢٪ عام ١٩٨٤ بعد أن كان ٢٨,٧٪ عام ١٩٨٠.

إلا أن من ينظر الى الجدول (١٩) يلاحظ أن عدد مزارع الدجاج البياض على عكس مزارع الدجاج اللاحم قد تناقصت في عددها وبالتالي في طاقتها الإنتاجية، ويعزى ذلك إلى اعتماد كثير من القرويين على الإنتاج المنزلي للبيض، حيث يربي الفلاح عادة بعض الطيور الداجنة في بيته. لقد تناقصت مزارع الدواجن البياض في اللواء من ١٠ مزارع عام ١٩٨٠ إلى ٤ فقط عام ١٩٨٤، أي انخفضت إلى مستوى ٤٠٪ مما كانت عليه عام ١٩٨٠. كما انخفضت مساهمة إنتاجها من ٢٢٪ من إنتاج البيض في الضفة عام ١٩٨٠ إلى ١١٪ عام ١٩٨٤.

جدول ـ ١٩ ـ عدد مزارع الدجاج البياض وطاقتها الإنتاجية في لواء طولكرم ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤

السنة	عدد المزارع	نسبتها من مزارع الضفة ٪	عدد الدجاج البياض	تقدير إنتاج البيض سنوياً	نسبتها في الضفة
١٩٨٠	١٠	٢٠,٠	٢٦٨٠٠	٥٣٦٠٠٠٠	٢١,٩
١٩٨١	٧	١٩,٤	٢٠٨٥٠	٤١٧٠٠٠٠	١٨,٢
١٩٨٢	٦	١٤,٦	١٧٩٤٤	٣٧٦٨٤٠٠	١٢,٠
١٩٨٣	٥	٢١,٧	١٢٤٠٠	٢٦٠٤٠٠٠	١٤,٣
١٩٨٤	٤	١٨,٢	٩٨٠٠	١٩٦٠٠٠٠	١٠,٩

المصدر: نفس المصدر السابق.

النشاط الصناعي والحرفي:

تعتبر طولكرم مدينة زراعية، حيث يعمل القسم الأعظم من سكانها وسكان إقليمها بالزراعة، في حين لم تبلغ نسبة العاملين في النشاط الصناعي

والحرفي سوى ٢, ١٠٪، بالطبع تكون أعلى قليلاً في المدينة نفسها لانخفاض نسبة العاملين بالزراعة وارتفاع نسبة العاملين في قطاع الخدمات.

ولايوجد في مدينة طولكرم ولا في المناطق التابعة لها نشاط صناعي بمعنى الكلمة، وإنما هناك صناعات حرفية بسيطة وورش صيانة وتصليح للأجهزة والآلات التي يستخدمها سكان المنطقة. ويمكن تقسيم الصناعات السائدة في مدينة طولكرم ولوائها إلى الأنواع التالية:

١ ـ الصناعات الزراعية، وهذه تشمل بالدرجة الأولى صناعات عصر الزيتون وطحن الحبوب. وقد وجد هذ النوع من الصناعة في المنطقة منذ عهد طويل، ويعود السبب في ذلك إلي سيادة محصول الزيتون واعتبار زيت الزيتون أحد الأغذية الرئيسة للسكان. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن إنتاج وطحن الحبوب خصوصاً الحنطة. والجدول (٢٠) يوضح تطور أعداد ومستوى معاصر الزيتون في المنطقة.

جدول ـ ٢٠ ـ عدد ومستوى معاصر الزيتون في لواء طولكرم

السنة	قديمة	نصف آلية	آلية	المجموع	نسبتها من الضفة
١٩٧٩	٩٠	١٧	٣	١١٠	٪٤٠
١٩٨٠	٨٢	٢٧	٤	١١٣	٪٣٨

من الواضح أن الغالبية العظمى من معاصر الزيتون في لواء طولكرم من النوع القديم، إلا أن القديم منها في تناقص وإن الحديثة منها الآلية والنصف آلية في تزايد مستمر.

ومن الجدير بالذكر أن ٤٤٪ من معاصر الزيتون في المنطقة تستعمل الروافع الآلية، وهذه تم إدخالها في بداية السبعينات، حيث يتم استخدامها لنقل ثمار الزيتون في مراحل إنتاج الزيت المختلفة، واشتملت طولكرم عام ١٩٨٠ على ما نسبته ٣٨٪ من مجموع معاصر الزيتون في الضفة الغربية.

٢ ـ **صناعات البناء**: وتشتمل هذه على ورشات النجارة والحدادة التي بلغ عددها في المدينة ٢٣، ٢٤ ورشة على التوالي. كما اشتملت على ١٢ مصنعاً للطوب والبلاط والمماسح ومثلها لتركيب الالمنيوم الخاص بالأبنية المختلفة.

٣ ـ **صناعة الألبسة**: أشارت دراسة العورتاني، عن الصناعات في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى وجود ٢٥ مصنعاً (ورشة) للغزل والنسيج في مدينة طولكرم. كما أفادت بيانات غرفة التجارة والصناعة بوجود ٣١ مشغلاً للخياطة و١٧ محلاً للخياطين. وهناك أيضاً خمس ورش لإنتاج وصناعة الأحذية.

النشاط التجاري وقطاع الخدمات:

يعتبر هذا أحد الأنشطة الأساسية حيث يعمل به قسط كبير من السكان، سواء في الخدمات العامة أم الخاصة، وفي القطاع التجاري، خصوصاً أن مدينة طولكرم تتمتع بمركزية واضحة في إقليمها حيث يعتمد معظم سكان اللواء في الحصول على الخدمات التجارية وغيرها من الخدمات كالصحية مثلاً منها. ويتوفر في مدينة طولكرم المحلات التجارية التي تبيع مختلف أنواع السلع والبضائع لسكان المدينة ومن يرد إليها من إقليم المدينة. حيث يوفر القطاع التجاري في المدينة المواد الغذائية، والأدوات المنزلية ومواد البناء والألبسة وغيرها. والجدول (٢١) يلخص الأنشطة الصناعية والتجارية في مدينة طولكرم المعتمدة من قبل الغرفة التجارية فيها.

جدول ـ ٢١ ـ المحلات التجارية والصناعية في مدينة طولكرم

محلات	العدد	محلات	العدد
النوفوتية	٦٦	محلات النجارة	٢٣
الساعات والنظارات	١٠	محلات الحدادة	٢٤
المحروقات والزيوت المعدنية	٦	معامل الطوب والبلاط والمهاسح	١٢
المواد الغذائية	٢٢	شركات التأمين وتدريب السواقة	٦
الخضار والفواكه	٤٠	المكتبات	١١
البقالات ومطاحن البن	١٣٧	المطابع	٣
صناعة وبيع الحلويات	١٣	الصياغة والمجوهرات	٢٠
بيع اللحوم الحمراء والدواجن	٣٥	بيع قطع واطارات وتشحيم السيارات	١٥
المطاعم والمقاصف	٢٥	الادوات الصحية والحمامات الشمسية	١١
المقاهي	١٥	بيع المواد الزراعية	٨
صناعة وبيع الاحذية	٢٢	محلات تركيب الالمنيوم	١٢
الخياطين	١٧	مبيع وتصليح الدراجات الهوائية	٣
مشاغل الخياطة	٣١	محلات التصوير	١٤
الصرافين	٩	مواد الزجاج والدهان	١٢
البنوك	١	نقليات عامة	١
بيع الاواني المنزلية	٢١	محلات الأقمشة	٨
صناعة وبيع الاثاث المنزلي	١٧	أشرطة الكاسيت والفيديو	٦
بيع مواد البناء	٢٠	بيع الملابس القديمة والحصر	٢
بيع الأدوات الكهربائية	٢٧		

المصدر: غرفة التجارة والصناعة في مدينة طولكرم.

الفصل الخامس

التعليم والحياة الاجتماعية

الخدمات التعليمية :

اشتهرت مدينة طولكرم[1] وغيرها من قرى المنطقة كعنبتا وسفارين وكفر اللبد بكونها مراكز لتدريس علوم الدين والفقه الحديث، إذ انتشرت فيها الكتاتيب التي كانت تدرس مبادىء القراءة والكتابة والقرآن الكريم والحساب والخط، وذلك زمن الدولة العثمانية[2]. كما قامت في المدينة وما جاورها من القرى الكبيرة المدارس وظهر فيها الشعراء والشيوخ. ومما يدعم ويبرز تعلق هذه المنطقة بالعلم والأدب، المكتبات المحلية وما تحويه من كتب ومخطوطات تم العثور عليها حديثاً. ويؤكد ذلك أحد الحكام الإداريين لطولكرم زمن الانتداب وهو الشيخ عبد الله خير الذي جمع بعض محتويات هذه المكتبات أثناء جولاته في قرى المنطقة[3].

في بادىء الأمر لم يكن للدولة العثمانية مدارس تنفق عليها، وإنما كان السكان المحليون هم الذين يديرون هذه المدارس وينفقون عليها، وأحياناً كان

---

١ ـ منذ عشرات السنين.

٢ ـ شأن المدن الفلسطينية الأخرى.

٣ ـ الكرمي، عبد الكريم، الشيخ سعيد الكرمي، سيرته العلمية والسياسية، منتخبات من آثاره، ص ١٦ ـ ١٧.

أحـد الأفـراد المتعلمـين في البلدة يتولى ذلك، مثال ذلك مدرسة كتاتيبية وابتدائية للشيخ خليل سعيد الكرمي[٤].

إلا أنـه في مرحلة لاحقـة، وبعـد أن تحسن وضـع الحكـومة العثمانية مالياً، رغبت في نشر التعليم بين السكان، لجأت إلى تأسيس لجان المعارف عرفت باسم قومسيـونـات المعـارف وذلـك من أجل إنشاء المدارس والإنفاق عليها من تبرعات الأهـالي. وبـذلـك تأسس قومسيـون في طولكـرم برئـاسـة الشيـخ سعيد الكرمي وعضوية بعض شخصيات البلدة[٥].

وبناء على ما جاء في الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)، فإن مدرسة طولكرم الإبتدائية قد تأسست عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٢م)[٦].

وبفضـل رئيس بلديـة طولكرم (عبد الرحمن الحاج ابراهيم) أحرز قضاء بني صعب مركـزاً مرمـوقـاً بين سائـر الأقضيـة، إذ أن أهله مولعون بالعلم. وبلغ عدد طلبـة مدرسـة طولكرم أثناء الحرب العالمية الأولى (٢٥٠) طالباً معظمهم من أبناء القـرى المجـاورة. كان معظم طلبـة هذه القـرى يبيتـون في حوانيت طولكرم، لذا حاول رئيس البلدية إقامة مبيتاً للطلبة إلا أن الصعوبات المالية حالت دون تحقيق ذلك[٧].

في نهايـة فترة الانتـداب البريطاني على فلسطين، لم يكن في طولكرم سوى مدرستين للبنين واحدة إبتدائية والأخرى إبتدائية ـ ثانوية، ضمتا حوالي (١٣٠٠) طالب بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية للبنات ضمت حوالي (٧٠٠) طالبة. كما كان هناك «مدرسة خضوري الزراعية» التي بلغ طلابها ٦٢ طالبا عام ١٩٤٥/١٩٤٦[٨].

---

٤ ـ المصدر السابق.

٥ ـ المصدر السابق.

٦ ـ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢، ص ٢٥٦.

٧ ـ المصدر السابق، ص ٢٥٧.

٨ ـ المصدر السابق، ص ٢٥٨.

وفي العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٧ بلغ مجموع الطلبة في مدارس مدينة طولكرم ٨٦٠ طالباً و٢٥٨ طالبة، معظمهم من المدارس الحكومية باستثناء ١٨ طالبة و١٢١ طالباً كانوا في مدارس غير حكومية. وبلغت نسبة تسجيل الذكور في سن ٥ ـ ١٥ سنة في المدارس ٩٥٪ في حين لم تتعد هذه النسبة ٣٠٪ بين الاناث من نفس الفئة العمرية[٩].

أما في النصف الثاني من هذا القرن، فأقدم المعلومات المتوفرة عن مدارس مدينة طولكرم تعود إلى العام الدراسي ١٩٥٨/١٩٥٧، والتي يلخصها الجدول

جدول ـ ٢٢ ـ مدارس مدينة طولكرم عام ١٩٥٨/١٩٥٧

اسم المدرسة	نوعيتها	عدد الطلبة	مستوى المدرسة	
			أدنى صف	أعلى صف
الفاضلية	ثانوية / ذكور	٥٧٥	أول ثانوي	ثاني ثانوي
عمر بن عبد العزيز	اعدادية / ذكور	٦٧٧	أول ابتدائي	ثالث اعدادي
خالد بن سعيد	اعدادية / ذكور	٤٨٦	أول ابتدائي	ثالث اعدادي
طولكرم	اعدادية / ذكور	٨١٦	أول ابتدائي	ثالث اعدادي
العدوية	ثانوية / إناث	٥٢٠	سادس ابتدائي	ثاني ثانوي
الاصمعي	ابتدائية / اناث	٤٢٧	أول ابتدائي	خامس ابتدائي
طولكرم	ابتدائية / اناث	٤٠٩	أول ابتدائي	خامس ابتدائي

المصدر: وزارة التربية والتعليم، التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨، ص ١٩٤

٩ ـ المصدر السابق، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

لقد ساهمت أكثر من سلطة بالإشراف على المؤسسات التعليمية في مدينة طولكرم في النصف الثاني من القرن الحالي، والجدول (٢٢) يوضح أن وزارة التربية والتعليم الأردنية كان لها الدور الرئيسي في إدارة وتمويل المدارس في المدينة، حيث بلغ نصيب مدارسها (٦٢٪) من مجموع طلبة المدينة في عام ١٩٦٠/٦١ تبعتها في الأهمية وكالة الغوث الدولية والتي شغل طلبتها مانسبته (٢٨,٨٪) من مجموع طلبة المدينة، أما البقية (٢, ٩٪) فكانوا تحت إشراف مدارس أهلية وطنية.

جدول ـ ٢٣ ـ عدد المدارس والمعلمين والطلبة في مدينة طولكرم حسب السلطة المشرفة

السلطة المشرفة	١٩٦٠ ـ ١٩٦١			١٩٦٦ ـ ١٩٦٧	
	عدد المدارس	عدد المعلمين والمعلمات	عدد الطلبة	عدد المدارس	عدد الطلبة
وزارة التربية والتعليم	٨	١٢٣	٣٩٥٩	١١	٤٦١٨
الأهلية الوطنية	٧	٢٦	٥٨٧	٧	٩٤٢
وكالة الغوث	٤	٦٢	١٨٤٠	٤	٢١١٢
المجموع	١٩	٢١١	٦٣٨٦	٢٢	*٧٩١٤

المصدر:

وزارة التربية، التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١، ص٢٩٣. الدباغ، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

* هذا العدد لايشمل طلبة معهد الحسين الزراعي، إلا أنه يشمل ٢٤٢ من تلاميذ رياض الأطفال.

وفي الوقت الراهن، وبعد أن اتسعت مدينة طولكرم، وازداد عدد سكانها، فقد توسعت في إنشاء مدارس جديدة وضم مدارس أخرى اليها، نتيجة لضم

بعض القرى المجاورة إلى المدينة كشويكة وارتاح. لقد بلغ عدد المدارس في مدينة طولكرم للعام الدراسي ١٩٨٦/١٩٨٧ ثلاثون مدرسة اشتملت على (١٨٤) معلماً و(١٧٠) معلمة يدرسون (٥٠٩١) طالباً و(٤٩٧٦) طالبة في مراحل التعليم المختلفة من الإبتدائية إلى الثانوية. بالإضافة إلى ذلك وكما يتضح من الجدول (٢٤) فإن في مدينة طولكرم مدرستين أهليتين مختلطتين يشتملان على ثمانية من المدرسين والمدرسات و(٧٤) طالباً وطالبة.

مدرسة خضوري الزراعية[١٠]:

أنشئت هذه المدرسة عام ١٩٣١ بأموال تبرع بها السير إلي خضوري (Sir Eli Khadouri) من هونغ كونغ. وكانت تقبل الطلبة الذين أتموا الصف الثاني الثانوي (الثالث الإعدادي اليوم) حيث كان يدرس الطالب فيها لمدة سنتين. وأثناء الثورات التي قام بها أبناء الشعب الفلسطيني استولت قوات الانتداب البريطاني على المدرسة واحتفظت بأجزاء من مزرعتها إلى ما بعد عام ١٩٤٦.

وفي مرحلة لاحقة أضيف للمدرسة صف لإعداد المعلمين ضم عام ١٩٤٥/١٩٤٦ (٥٢) طالباً في السنتين الأولى والثانية من برنامج إعداد المعلمين. كانت تقوم المدرسة على قطعة أرض مساحتها ٦٠٠ دونم اغتصب منها الصهاينة عام ١٩٤٨ (٢٠٠) دونم تقع غرب خط السكة الحديدية.

وتعرف هذه المدرسة حالياً باسم معهد الحسين الزراعي، يقبل فيه حملة الشهادة الثانوية العامة، القسم العلمي وقد أصبحت مدة الدراسة فيه منذ عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ثلاث سنوات بدلا من سنتين. وما زال المعهد يقبل حملة الشهادة الثانوية العامة في قسم إعداد المعلمين في العلوم والرياضيات واللغة العربية، واللغة الإنكليزية، والاجتماعيات، والدين، والتربية الرياضية.

---

١٠ ـ المصدر السابق، ص ٢٦٠.

ـ محشي، خليل، أوضاع التعليم العالي في الأرض المحتلة وأسس تطويره ودعمه، جامعة بير زيت، ١٩٧٨، ص ٥ ـ ٦.

جدول ـ ٢٤ ـ مدارس مدينة طولكرم وعدد المعلمين والطلاب فيها

لسنة ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧م

اسم المدرسة	سنة التأسيس	عدد المعلمين	عدد الطلاب
ذنابة الثانوية / إناث	١٩٥٧	١٤	٣٣٨
جمال عبد الناصر / ثانوية / إناث	١٩٧٨	٢٤	٦٥٧
العدوية الثانوية / إناث	١٩٥١	١٥	٣٥٥
ارتاح الاعدادية / ذكور	١٩٤٣	١٠,٥	٢٣٢
خالد بن سعيد / اعدادية / ذكور	١٩٠٨	١٠	٢٨٨
عمر بن عبد العزيز / اعدادية / ذكور	١٩٤٧	١٣	٤٣٩
نور الدين زنكي / اعدادية / ذكور	١٩٥٩	١١	٢٨٤
ارتاح / اعدادية / اناث	١٩٥٧	٨	١٧٣
طولكرم / اعدادية / إناث	١٩٥١	١٣	٣٩٧
الاصمعي / اعدادية / إناث	١٩٧٢	١٣	٤٢٨
زنوبيا / اعدادية / إناث	١٩٦٦	١٠	٢٤١
اجنادين / ابتدائية / ذكور	١٩٦٠	٧	٢٢٨
طه حسين / ابتدائية / ذكور	١٩٧٢	٨	٢٥٥
طولكرم / ابتدائية / ذكور	١٩٧٨	٨	٢٨٦
اشبيلية / ابتدائية / إناث	١٩٦٤	١١	٣٢٦
طولكرم / ابتدائية / إناث	١٩٦٩	٧	٢١٠
طولكرم الصناعية / ثانوية / ذكور	١٩٧٥	١٦	٢١٨
الفاضلية / ثانوية / ذكور	١٩٧٢	١٦	٣٦٤
طولكرم / ثانوية / ذكور	١٩٥٢	١٧	٣٨٩
الوطنية / ثانوية / مختلطة	١٩٦٣	٤	٣٨
النهضة / ثانوية / مختلطة / خاصة	١٩٦٦	٤	٣٦
وكالة / ابتدائية أولى / بنات	١٩٦٠	١٠	٣٩٥
وكالة / ابتدائية ثانية / بنات	١٩٧٣	١٠	٤٠٦
وكالة / اعدادية / إناث	١٩٦٠	١٥	٥٣٤
وكالة / ابتدائية / ذكور	١٩٥٠	١٧	٦٩٠
وكالة / اعدادية / ذكور	١٩٥٠	١١	٣٤٥
نور شمس / اعدادية / ذكور	١٩٥٦	١٧	٥٤٧
شويكة / ثانوية / ذكور	١٩٢٢	١١	٢٠٢
شويكة / ثانوية / إناث	١٩٤٧	٢٠	٥١٦
شويكة / اعدادية / ذكور	١٩٨٠	١٢	٣٢٤

ـدر: ـ التربية والتعليم.

يبلغ عدد العاملين في المعهد ١٥ موظفاً إدارياً و٢١ عضو هيئة تدريس من حملة الدكتوراه والماجستير والبكالوريوس. أما عدد الطلبة فبلغ عام ١٩٧٦/١٩٧٧ (٣٠١) طالباً. ويستوعب المعهد سنوياً ١٤ طالباً من حملة الشهادة الثانوية العامة والدراسة فيه مجانية.

يشتمل المعهد على ثمانية غرف تدريس، وقاعة محاضرات كبيرة واحدة وستة مختبرات للكيمياء العضوية، الكيمياء غير العضوية، النبات، علم الحيوان، الفيزياء والتربة، يتسع كل منها لـ ٢٤ طالباً. وفي المعهد أيضاً مكتبة فيها حوالي (٣٠) ألف مجلد باللغتين العربية والانجليزية، ومعدل الزيادة السنوية في حجمها يتراوح بين (٥٠٠ ـ ١٠٠٠) كتاب. كما يشتمل المعهد أيضاً على منزل لإقامة الطلبة ومرافق زراعية مختلفة. ويطمع المسؤولون في المعهد إلى تحويلة لكلية زراعة تابعة لإحدى جامعات الضفة الغربية.

العادات والتقاليد:

يتوارث المجتمع عاداته من السلف إلى الخلف متأثراً بظروف بيئية ومتأقلماً معها. ويشتد تمسكه بها عندما يشعر بالتحدي الحضاري والعرقي، وعندما يتعرض لمحاولات الإبادة. لهذا فقد تمسك أبناء طولكرم كغيرهم من أبناء فلسطين بعاداتهم وتقاليدهم الأصلية. وسنكتفي هنا بالإشارة إلى عادات الأفراح وعادات الأحزان في مدينة طولكرم.

الزواج:

بعد الاتفاق المبدئي بين أهل العروسين، تذهب (الجاهة) والمكونة من وجوه البلد والعائلة لخطبة الفتاة من والدها وأقاربها. وبعد أن يلبي طلبهم، يشربون القهوة، ويقرأون الفاتحة في بيت العروس. وتقوم الجاهة أيضاً بالتصديق على الشروط التي تم الاتفاق عليها مسبقاً بين أهل العروسين. ويتم بعد ذلك تحديد موعد كتب الكتاب «عقد الزواج».

وعندما يكتب الكتاب يدعى الأقارب وأفراد (الحمولة) أي العشيرة، مسبقاً لحضور المراسيم البسيطة التي لا تتعدى اجتماعاً بسيطاً لمدة ساعة أو نصف ساعة بعد صلاة العشاء عادة أو بعد صلاة العصر، حيث يأتي المأذون ويأخذ موافقة العريس والعروس كل منهما على انفراد بحضور والد العروس وأحد محارمها والشهود، بعد التأكد من موافقة العروس يتم كتب الكتاب، وبعد ذلك توزع بعض الحلوى والقهوة والمرطبات على الحضور. وهذا ما يسمى بعقد القران، وبعد ذلك تأتي مرحلة الخطبة أو (التلبيسة) ويحدد موعدها بعد كتب الكتاب حيث يوزع قبل يوم الخطبة بطاقة دعوات على المدعوين يعين فيها ساعة ابتداء وانتهاء الحفلة، وهي غالباً لا تتجاوز ٣ ساعات، وتقام الحفلة للرجال والنساء كل على انفراد في بيت والد العروس أو أحد أقاربها. حيث تزين العروس في الصالون وترتدي (فستان) يناسب هذه المناسبة ولكن لا يكون لونه أبيض، وتجلس في مكان مرتفع وتتجمع عندها المدعوات من صديقاتها ومعارف أهل العروس وأهل العريس، ويغنون لها الأغاني الشعبية المعروفة في المدينة. ثم بعد فترة يأتي العريس ويجلس بجانبها ويلبسها الشبكة والتي من أهمها الدبلتين، ويختلف مقدار الشبكة حسب قدرة العريس وهذه تكون بمثابة هدية يقدمها العريس لعروسه.

وغالباً لا تكون داخلة في حساب الذهب، الذي يعتبر جزءاً من المهر المقدم للعروس من عريسها.

أما بالنسبة للرجال فالوضع يختلف حيث يتوافد المدعوون إما إلى بيت والد العروس أو أحد أقاربها للتهنئة، وعادة يكون مكان الرجال معزولاً عن مكان النساء. ويتم توزيع علب الأفراح والمرطبات والقهوة حيث يبارك الرجل ويجلس دقائق ثم ينصرف ليترك المجال لغيره.

بعد انتهاء مراسيم الخطبة، يعين موعد الزفاف بعد فترة من الخطبة قد تطول أو تقصر حسب ظروف العروسين.

مراسيم العرس :

يكون العرس عادة على نطاق أوسع من الخطبة ، حيث تتم دعوة عدد كبير من أهل البلد والأصدقاء لحضور الحفل . وتقام حفلة النساء عادة في بيت العروس أو في قاعة عامة ، حيث تؤخذ العروس إلى صالون التجميل لتزينها ويزين معها عادة قريبات العروس والعريس ، وتلبس العروس الفستان الأبيض والطرحة والإكليل والذهب الذي جلبه لها العريس ، وتجلس في مكان مرتفع يراها جميع الحضور ، وفي هذه الفترة تتجمع عندها النساء المدعوات ويبدأن بالغناء والرقص ويستمر ذلك حتى ساعة متأخرة من الليل . وفي آخر السهرة يتم تقديم الفواكه والحلويات والمكسرات ، وهذا فقط للمقربات من العروس وبعد ذلك تأخذ صديقاتها بالتزويد لها وهو نمط من الغناء يقال عادة لوداع العروس .

أما سهرة الرجال فتبدأ بعد آذان العشاء غالباً في بيت والد العريس ، ويحيي السهرة عادة واحد أو إثنين من الزجالين المعروفين في المنطقة أو ما يسمى (بالحدي) ويتبارزون في الزجل الشعبي والمواويل ويتوسط الحدي عادة صفوف الحضور بحيث يصطفون بشكل بيضاوي أو بشكل مستطيل ، ويرددون ما يقوله الحدي بصفة مميزة ، وفي آخر السهرة تختم الحفلة عادة بالدبكة الشعبية .

وفي يوم العرس يتم حمام العريس في بيت أحد أقاربه حيث يتم دعوته من قبلهم ، ويتم حمامه في وسط غناء خاص به من قبل النساء المتواجدات في خارج مكان الحمام يلبس العريس وتنتظره الرجال والنساء بالغناء في الخارج وتزين له شمسية خاصة بالذهب وأدوات زينة أخرى ويحملها أحد المقربين له من أصدقائه أو إخوته .

وتكون الزفة من صفوف من الرجال يتوسطهم الحدي وخلفهم النساء أيضاً ، والجميع يغني أغاني خاصة بالزفة . وفي البداية يمشي العريس في وسط الرجال فترة من الزمن وتمشي خلفهم النساء . ثم تأتي بعد ذلك إحدى قريبات العريس وتأخذه من وسط الرجال حيث يتوسط النساء ويستمر مع النساء حتى انتهاء الزفة ويكون العريس أثناء ذلك ممتطياً فرساً أو مترجلاً .

بعـد انتهـاء الـزفـة يتم دعـوة جميـع من شاركـوا فيهـا إلى الغـداء في بيت العريس، ومن ثم يتوجه أفراد العائلة فقط من الرجال ومعظم النساء في موكب من السيارات والباصات لنقل العروس من بيتها إلى بيت عريسها، حيث يدخل قسم من النساء في البداية لفتح الطريق أمام الرجال، ثم يدخل الرجال واحداً تلو الآخر يتـوسطهم كبـير الحمـولة لتقديم «النقوط» للعروس ووداعها، وبعد ذلك يمسكها أحـد محارمهـا كأبيهـا أو أحد إخوتها من يديها لإخراجها من البيت إلى حيث تنتظر السيـارات والمـدعـوين من الرجال والنساء ويكون للعروس في العادة سيارة خاصة مزينة تركبها العروس وقريباتها فقط.

عادات المآتم في مدينة طولكرم:

بعد تشييع الجثمان يعود أهل الفقيد والمواسون إلى بيت أحد أقاربهم حيث يتم دعـوتهم من على القـبر وذلـك لتنـاول طعـام الغـداء أو العشـاء حسب وقت الـدفن. أمـا النسـاء فتبقى في بيت المتـوفى لأنهـا لا تشـارك في الجنازة أصلاً. بعد الانتهـاء من الطعـام يتـوجه الحضور من ذوي المتوفى وأقاربه وأصدقائهم إلى بيت المتوفي لفتـح بيت العـزاء، والذي يدوم لمدة ثلاثة أيام فقط، ويكون ذلك للرجال فقط حيث تقدم القهوة السادة. أما النساء فتأتي إلى بيت المتوفى في مكان منفصل عن مكان الرجال لتقديم العزاء. وفي مدة العزاء يقوم الجيران والأصدقاء بالتناوب بتقـديم الطعـام على ثلاث وجبـات لمدة ٣ أيـام. ويختتم أيـام العـزاء بعمـل ما يعرف (بعشاء الميت) وهو عبارة عن طبخ الرز واللحم والمرق وتقديمه للفقراء ولمن يأتي إلى بيت المتوفى في ذلك اليوم.

وطيلة الأربعين يوماً بعد وفاة الميت يمتنع أقاربه وجيرانه في معظم الأحوال عن الـذهـاب إلى الأفـراح أو إقـامتها أو سماع المذياع والتلفزيون، أو لبس الألوان الزاهية. وقد يلتزم أهل الميت إذا كان المتوفى شابا بالحداد لمدة سنة.

الأزياء الشعبية[11]:

مع صغر حجم مساحة فلسطين والتي تبلغ حوالي ٢٧ ألف كم٢، فإنها تزخر بالأزياء الشعبية المتباينة بين السهل والجبل والشمال والجنوب. ومنطقة طولكرم تتميز بزي خاص للنساء والذي يعرف باسم «الصرطلية» وهي شبيهة بدماية الرجل في شكلها العام، ويوجد منها أربعة أنواع:

أ ـ الصرطلية الملونة بالأزهار الجميلة.

ب ـ الصرطلية الملونة بالخطوط الخضراء والحمراء.

جـ ـ الصرطلية المخمل.

د ـ الصرطلية الملونة بالخطوط البيضاء والصفراء، هذا النوع خاص بكبار السن من النساء.

يزيّن الفتحة الأمامية في كل نوع من الصرطليات السابقة قيطان أسود، يصل إلى منطقة الوسط. وترتدي الصرطلية في منطقة طولكرم على ثوب شفاف اللون، ومن القماش الثمين. ولا يختلف شكله عن شكل ثوب الأردان ويلف على الصرطلية شملة عريضة ذات لون مناسب للون الصرطلية. أما الرأس فير بط عليه شال مزخرف جميل، بحيث يتدلى أحد أطرافه على الكتف الأيمن للفتاة.

---

١١ ـ كناعنة، شريف، وآخرون، الملابس الشعبية الفلسطينية، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني في جمعية إنعاش الأسرة ـ البيرة.

ـ المزين، عبد الرحمن، موسوعة التراث الفلسطيني، الأزياء الشعبية الفلسطينية، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

المراجع والمصادر

أولا : المراجع العربية :

١ - أبو زنط، ماجدة أحمد، التباين التنموي في لواء طولكرم، أطروحة لنيل درجة الماجستير في الجغرافيا، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٦ .

٢ - أبو عرفة، عبد الرحمن، الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل، عمان، ١٩٨١ .

٣ - أبو عمر، جمال محمد وآخرون، تربية الأغنام في الضفة الغربية وقطاع غزة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٩٨٣ .

٤ - الأحمد، أحمد قاسم وآخرون، القطاع الصناعي في المناطق المحتلة، الضفة الغربية وقطاع غزة، الدائرة الاقتصادية، الجمعية العلمية الملكية، عمان، ١٩٨٢ .

٥ - بحيري، صلاح الدين، أرض فلسطين والأردن : طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٤ .

٦ - بدير، أحمد محمود، مدينة طولكرم : دراسة إقليمية، أطروحة لنيل إجازة في الآداب، جامعة دمشق، ١٩٦٤ .

٧ - خمار، قسطنطين، جغرافية فلسطين المصوّرة، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٠ .

٨ - الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١ .

٩ - عبد الهادي، مهدي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٧٧، جمعية الملتقى الفكري العربي، القدس .

١٠ - الكرمي، عبد الكريم، الشيخ سعيد الكرمي : سيرته العلمية والسياسية، منتخبات من آثاره، المطبعة العمومية، دمشق، ١٩٧٣ .

١١ ـ طوطح، خليل وآخرون، جغرافية فلسطين، مكتبة فلسطين العلمية، القدس، ١٩٢٣ .
١٢ ـ عشي، خليل، أوضاع التعليم العالي العربي في الأرض المحتلة وأسس تطويره ودعهم، جامعة بير زيت، ١٩٧٨ .
١٣ ـ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١ .
١٤ ـ النحال، محمد سلامة، جغرافية فلسطين: دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، دار العلم للملايين، بيروت .
١٥ ـ إحصاء نفوس فلسطين، ١٩٣١ .
١٦ ـ الأردن، دائرة الاحصاءات العامة، التعداد العام الأول للسكان والمساكن في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ١٩٧٨ .
ـ الأردن، سلطة المصادر الطبيعية، النشرة الفنية، عمان، أعداد مختلفة .
ـ الأردن، وزارة التربية والتعليم، التقرير السنوي، عمان، أعداد مختلفة .
١٧ ـ دائرة الزراعة، طولكرم .
١٨ ـ صحيفة القدس، ٢٤/ ٦/ ١٩٨٤ .
١٩ ـ غرفة الصناعة والتجارة، طولكرم .
٢٠ ـ مركز التنمية الريفية، جامعة النجاح، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، الأعداد ١ ـ ٥، جامعة النجاح، نابلس .
٢١ ـ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ١٢٥ .
٢٢ ـ منظمة التحرير الفلسطينية، المكتب المركزي للإحصاء، النشرة الإحصائية الزراعية للضفة الغربية وقطاع غزة، دمشق، عدة أعداد .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Abdul Fatah, et al, Historical Geography of Palestine, Transuordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977.
2- Benvenisti, M., «The West Bank Data Project: A survey of Israel's Policies», American Enterprise Institute, Studies in Foreign Policy, Washington& London, 1984.
3- Census of Palestine, 1967: West Bank, Northern Sinai, Gaza Strip and Golan, Jeursalem, 1967.
4- Harris, W. W., Taking Root: Israeli Settlement in the West Bank, the Golan and Gaza- Sinai, 1967- 1980, Wiley, Chichester.
5- Orni, E, et al, Geography of Israel, 3rd ed., Israel University Press, London, 1971.

ثالثا: الخرائط:

1- Israel, Sheet No. 5, Netanya, and sheet No. 7- 8Tel Aviv- Yafo, Scale 1: 100 000, Surviy of Israel, 1975.
2- Palestine, Sheet No. 6, Jaffa- Tel Aviv, Sheet No. 4, Sikhorn; Scale 1: 100 000, War. Office, 2nd edition, edition, 1955.

الملاحــق

ملحق - ١ - الأماكن الأثرية التي تقع في قضاء طولكرم

بالإضافة إلى الأماكن الأثرية الواردة في الفصل الثاني، يشتمل لواء طولكرم على المواقع والأماكن الأثرية التالية:

١ - ابيجابل: «موقع قديم، شقف فخار على وجه الأرض، صخور منحوتة».
٢ - بير العبد: «شقف فخار على سطح الأرض وحجارة، بئر مبنية بالحجارة».
٣ - تل الشقاف: «تل انقاض، حجارة وشقف فخار على سطح الأرض، صهريج، جدار مبني بالدبش، شقف تاج عمود من الحجر الكلسي».
٤ - تس مسعود: «شقف فخار على كثبان الرمال».
٥ - خربة أبي بلة (خربة اسكندر): «انقاض صهريج».
٦ - خربة جمين: «انقاض ممتدة، جدران، ثلاثة أبراج، صهاريج محاجر، بقايا جدران حظيرة».
٧ - خربة دير سرور: «أساسات، أكوام حجارة، صهاريج منقورة في الصخر».
٨ - خربة الخريجة: «آثار انقاض، مغائر، صهاريج».
٩ - خربة الرزازة: «أسس، أكوام حجارة، صهريج منقور في الصخر».
١٠ - خربة الزعنية: «شقف فخار، صهاريج منقورة في الصخر ومبنية».
١١ - خربة القمقم: «أكوام حجارة».

١٢ ـ خربة قيسومة : «آثار انقاض».
١٣ ـ دير سرور: «أنقاض مدينة، جدران حجارتها مدقوقة، تيجان أعمدة، خزانات، أرض مرصوفة بالفسيفساء، صهاريجة مدافن».
١٤ ـ خربة مساعد: «دبش، فسيفساء، شقف فخار، حجارة».
١٥ ـ رأس أبي لوقا: «مدافن منقورة في الصخر على جانب تل صغير».
١٦ ـ ظهر أم الحية: «قبور ومغر منقورة في الصخر (مغارة أبي سماحة) في نشز من الأرض يعرف بهذا الاسم».
١٧ ـ ظهر المناسف: «حجارة مبعثرة وصهاريج منقورة في الصخر»، ويقال لها أيضاً «تل المناسف».
١٨ ـ كفرسا: «أساسات، صهاريج، أكوام حجارة».
١٩ ـ كفير: «مدافن وصهاريج».
٢٠ ـ كلوديا: «أساسات، صهريج مبني بالدبش، حجارة أبنية مبعثرة، شقف فخار على سطح الأرض».
٢١ ـ مينة أبي زابورة: «آثار محلة، شقف فخار وفسيفساء، مدافن منقورة في الصخر إلى الشمال».

ملحق ـ ٢ ـ مساحات الأشجار المثمرة في لواء طولكرم

الأشجار	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
زيتون	٢١٠٠٠٠	٢١٤٦٤٠	٢١٨٥٢٠	٢٢٠٧١	٢٢١٩٠٠
لوز	٢١٧٧٩٧	٢١٩٠٠	٢٢٠٩١	٢٢٣٧٨	٢٠٣٥٠
عنب	١٥٣٦	١٥٣٦	١٥٣٠	١٥٣٤	١٥٤١
تين	٣٠٠٣	٢٩٨٠	٢٩٩٦	٢٩٩٧	٢٩٨٦
تفاح	١٦٥	١٦٥	١٦٧	١٦٧	١٦٧
أجاص	٢٣	٢٣	٢٣	٢٨	٢٣
دراق	٢٦	٢٨	٢٦	٢٨	٢٨
مشمش	٢٣٣١	٢٣٤٩	٢٣٨٦	٢٣٨٦	٢٣٨٢
برقوق	١٤٧٤	١٤٨٢	١٤٦٣	١٤٧٢	١٤٦٣
جوافة	٦٢١	٦٢٣	٦٢٣	٦٢٤	٦٢٣
حمضيات متنوعة	١٧٠٠٣	١٧٢٢٣	١٧٠٢٠	١٧٢٧٥	١٦٨٢٦
المجموع	٢٥٨٠٥٤	٢٦٣٠٢٣	٢٦٦٩٠٠	٢٦٩٥٨٠	٢٦٨٣٧٩

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية، الاعداد ١ ـ ٥.

ملحق ـ ٣ ـ مساحات المحاصيل الحقلية في لواء طولكرم

المحصول	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
حنطة	٣١٣٥٥	٣٣٧٢١	٣٠٧٤٤	٣٢٢٦٠	٢٩٩٠٠
شعير	١٦٢٦٦	١٣٩٣١	١٣٤٦٣	١٤١٨٠	١٤٣٣٠٠
حمص	٤٦٠	٥٥٦	٤٥٩	٣٦٧	٥٠٠
فول يابس	٢٣٣٦	٢٣٠٠	٢١٦٩	٣١٣٤	٢٢٤٤
كرسنة	٣١٠٨	٣٢١٦	٢٧٧٧	٣٤٧٣	٣٨٢٥
عدس	٢٠٣٦	٢٠٥٠	١٢١٨	١٧١٥	١٣٧٠
اعلاف خضراء	ـ	ـ	١٨٧	١٥٢	١٠٠
سمسم	٩٥٤	٩٨٥	٨٢١	١١٣١	١١٣٥
تبغ	٦١	٧٠	٨٠	٦٧	٤٤
ذرة مكانس	٥٥٩	٦٠٠	٧٥٨	١٢٠٣	٨١٦
بيقية	٢٣٧٦	٢٤٥٧	١٨٨٥	٢١٩٥	١٦٨٥
كمون	ـ	ـ	ـ	ـ	٣١
فستق	ـ	٦٧٩	٣٤٦	١٣٦	١٣٥
أخرى	٩٣٥	١٤٢١	١٢١٦	١٨٦٩	١٠١٦
المجموع	٤٤٦	٦٥	٥٦١٢٩	٦١٨٨٢	٥٧١٣١

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية قطاع غزة، رقم ١، ص ١٠١. رقم ٥، ص ٩٦، جامعة النجاح الوطنية ـ نابلس، ١٩٨٠، ١٩٨٤.

ملحق ـ ٤ ـ مساحات محاصيل الخضار في لواء طولكرم

المحصول	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
بطيخ	-	١٩٧	٤٦٦	٦٢٤	٦٦٦
شمام	-	-	٣٣	٢٤٢	١٧٨
بطاطا	٢٨٧٣	٣٣٥٨	٤٣٣٥	٣٦٥٠	٣٢٦٥
بندورة	٢٩٠٩	٣٠٤٤	٢٩٣٨	٣٠٨٥	٢٥٤٥
خيار	٣٣٣٥	٣٠٠٦	٢٢٥٤	١٨٧٥	١٨٦٦
باذنجان	١٢٥٢	١٠٦٢	٩١٤	٧٤٠	٧٤٠
فلفل حار	١٣٥٧	١٣٠١	١٠٣٧	١٢٧٥	٦٥٣
بصل يابس	٩٢٦	١٠٠٤	١١٧١	١٧٧٠	١٦١٥
بصل بذور	٦٢	-	١٥٣	-	-
ثوم	٢٠٥	١٦١	٣٦٧	٦٠٠	٤٦٠
باميا	١١٣٥	١٢٢٧	١٨٣٧	١٨٦٠	١٣٩٠
ملفوف	٤٥٤	٢١٧	٥١٢	٣٦٠	٣٦٠
قرنبيط	١١٧٠	٨٢٧	١١٣٤	١١٥٠	١١٢٥
فقوس	٦٥٧	٧١١	٤٢٤	٧٠٥	٤٧٠
فول أخضر	-	-	١٤٢٥	١٠٧٠	١١٤٠
فاصوليا	١٢٢٤	١٣٥١	٩٦٧	١٠٢٠	٩٩٧
ملوخية	٧٤١	٦١٨	٧٣٠	٦٦٥	٦١٧
خضار أخرى	٥١٦	٤٩٢	١٣٦٥	٨٤٤	٧٢٢
المجموع	١٩٢١٣	١٩٠٥٢	٢٢٢٥١	٢٢٨٢٠	١٨٩٣٧

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، رقم ٥، ص ٨٥، رقم ١ ، ص ٩٢، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٩٨٠ ، ١٩٨٤ .

ملحق ـ ٥ ـ إنتاج الأشجار المثمرة (بالأطنان) في لواء طولكرم

الأشجار	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
زيتون	٤٢٠٠٠	١٦٣١٢,٦	٣٢٧٧٨,٠	١٦٥٥٣,٢	٢٤٤٠٩,٠
لوز	٢١٨	١٧٥٢,٠	١٩٨٨,٢	١٣٣٦,٦	٢٤٤٢,٠
عنب	٦١٤	٥٣٧,٦	٦١٢,٠	٦١٣,٦	١٢٣٢,٨
تين	٦٠١	٥٩٦,٠	٨٩٨,٨	١٠٤٨,٩	١١٩٤,٤
تفاح	٢٣	٢٣,١	٢٥,١	٢٥,٠	٣٣,٤
آجاص	٢	٢,٣	٢,٧	٥,٦	٤,٦
دراق	٤	٤,٢	٥,٢	٥,٦	٧,٠
مشمش	٦٩٩	٤٦٩,٨	٥٨٧,٢	١٤٣١,٦	٨٣٣,٧
برقوق	٧٣٧	١١١١,٥	٤٣٨,٩	٨٠٩,٦	١٤٦,٣
جوافة	١٢٤٢	١٥٥٧,٥	١٨٦٩,٠	١٥٦٠,٠	١٨٦٩,٠
حمضيات متنوعة	٥٢٦٤٠	٥٣٠٢٧,٠	٦٠٣٣١,٠	٦٠٥٩٦,٥	٦٣٣٤١,٠
المجموع	٨٨٠٤٨	٧٥٤١٩,٦	٩٩٥٦٤,١	٨٤٠١٧,٢	٩٥٥٤٢,٢

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية، الاعداد ١ ـ ٥.

ملحق ـ ٦ ـ إنتاج محاصيل الخضروات في لواء طولكرم (بالأطنان)

المحصول	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
بطيخ	-	٥٩١,٠	٤٦٦	١٨٠٥,٤	١٨٣٦,٠
شمام	-	-	٣٣	٣٥٣,٥	١٩٥,٢
بطاطا	٤٣٧٢	٥٩٤٣,٥	٤٣٣٥	٧١٩٤,٥	٥٢٧٥,٢
بندورة	٦٧٢٣	٧٢٧٦,٠	٢٩٣٨	٦٩٨٥,٥	٧٤٩٤,٠
خيار	٨٦٧١	٧٥١٥,٠	٢٢٥٤	٥٦٢٥,٠	٤٦٦٥,٠
باذنجان	٥٠٠٨	٤٢٤٨,٠	٩١٤	٣٧٠٠,٠	٤٤٤٠,٠
فلفل حار	٥١٦	٥٩٥,٠	١٩٦	٥٧٠,٠	١٩٢,٠
كوسا	٢٦٧٧	٢٦٣٦,٠	١٠٣٧	١٩٤٦,٣	١٣٤٠,١
بصل يابس	٦٩٥	٨٠٣,٢	١١٧١	٢٧٧,٠	٦٤٦,٠
بصل بذور	١	-	١٥٣	-	-
ثوم	٦١	٤٠,٢	٣٦٧	٧٨,٠	٦٩,٠
باميا	٥١١	٦١٣,٥	١٨٣٧	٣٣٤,٨	٢٠٨,٥
ملفوف	١٣٦٢	٦٥١,٠	٥١٢	١٠٨٠,٠	٩٠٠,٠
قرنبيط	٢٧٣٥	١٨٥٥,٥	١١٣٤	٢٦١١,٠	١٥٨٣,٠
فقوس	٢٣	٢١,٣	٤٢٤	١٧٦,٢	١١٧,٥
فول أخضر	-	-	١٤٢٥	١٧١,٢	١٧١,٠
فاصوليا	٩٥٩	١٣٣٥,٢	٩٦٧	١٢٢٤,٠	١١٨٦,٤
ملوخية	١٨٥٣	١٨٥٤,٠	٧٣٠	١٩٩٥,٠	١٥٤٢,٥
أخرى	٤٥١	٣٩٥,٠	١٣٦٥	٣٨٢,٨	٢٦٣,٥
المجموع	٣٦٦١٨	٣٦٣٧٣,٤	٢٢٢٥١	٣٧١٥٥,٢	٣٢١٣٥,٢

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، نشرة رقم ١، ص ، نشرة رقم ٥ ص ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٩٨٠، ١٩٨٤.

ملحق - ٧ - إنتاج المحاصيل الحقلية في لواء طولكرم بالأطنان المترية

المحصول	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤
حنطة	٦١٨٠	٥٠٥٨,١	٧٦٨,٦	١١٢٩١,٠	٨٩٧٠,٠
شعير	٣٢٣٥	٢٣٦٨,٢	٣٦٣,٥	٤٢٥٤,٠	٣٥٨٢,٥
حمص	٣٩	٤٤,٤	٣٢,٧	١٨,٠	٢٠,٠
فول يابس	١٩٨	١٨٤,٠	٢١٦,٩	٢٤,٧	٢٠١,٩
كرسنة	٢٤٩	٢٤١,٢	٢٤٩,٩	٤١٦,٧	٣٨٢,٥
عدس	٨١	١٠٢,٥	٧٩,٢	١٠٢,٩	٦٨,٥
اعلاف خضراء	-	-	٣٧٤,٠	٣٠٤,٠	٣٠٠,٠
سمسم	٥٢	٤٩,٢	٣٧,٠	٤٥,٢	٣٤,٠
تبغ	٥	٥,٦	١٥,٢	٢,٦	٢,٦
ذرة مكانس	٩٥	١٨٠,٠	١٨٩,٥	٢٤٠,٦	٢٤٤,٨
بيقية	٢١٤	٢٠٨,٨	١٥٠,٨	٢٦٣,٤	١٦٨,٥
كمون	-	-	-	-	١,٢
فستق	-	٢٣٧,٦	١٢١,١	٥٤,٤	٥٤,٠
أخرى	٢٦١	٣٩٨,٠	١٢١,٣	٢١٨,٨	٦٧,٤
المجموع	١٠٦٠٩	٩٠٧٧,٦	٢٧٠٩,١	١٧٥٥٦,٦	١٤٠٩٧,٩

المصدر: مركز الدراسات الريفية، النشرة الإحصائية السنوية للضفة الغربية وقطاع غزة، أعداد مختلفة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية :

١ ـ يافا
٢ ـ عكا
٣ ـ نابلس
٤ ـ رام الله والبيرة
٥ ـ الرملة
٦ ـ القدس
٧ ـ بيسان
٨ ـ بئر السبع والصحراء الفلسطينية
٩ ـ بيت لحم
١٠ ـ جنين
١١ ـ صفد
١٢ ـ غزة
١٣ ـ اللد
١٤ ـ طولكرم

يصدر عن هذه السلسلة :

١ ـ الخليل
٢ ـ حيفا
٣ ـ الناصرة
٤ ـ أريحا
٥ ـ المجدل وعسقلان
٦ ـ طبريا
٧ ـ خان يونس

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت مبعد عنه ...

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد بعيداً عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو تشم ثراه المجبول بالدم والمعطر برائحة البرتقال والزيتون ...

وحين يكون الحنين لفلسطين مدناً وقرىً وبحراً وسهلاً وجبلاً يتردد صداه غناء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني ...

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعد أن اقتلع الشعب من وطنه ـ إلى اقتلاع حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه وآثاره بهدف تغيير معالم الوطن ورسم صورته على هواه ...

وحتى تظل فلسطين ، تاريخاً وتراثاً وحضارةً ونضالاً ، حية في عقل كل فلسطيني وعربي ...

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالها وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل تحريرها واستعادتها ... كان علينا أن نقرّبها ، أن نقرّب الوطن البعيد من الأجيال التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن ، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بنّاء بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عبد الله الحوراني

الثمن : الأردن ١ دينار ، **الإمارات العربية المتحدة** ١٠ درام ، **المملكة العربية السعودية** ١٠ ريال ، **قطر** ١٠ ريال ، **الكويت** ١ دينار ، **سورية ولبنان** ٢٥ ل.س ، **والبلدان الأخرى** ٢ دولار .